حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل
في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية

طرق العرض في القرآن
الأهداف والخصائص الأسلوبية

د. بن عيسى باطاهر

قسم اللغة العربية – جامعة الشارقة

دولة الإمارات العربية المتحدة

الرسالة ١٧٨
الحولية الثانية والعشرون

١٤٢٢ – ١٤٢٣ هـ
٢٠٠١ – ٢٠٠٢م

مجلس النشر العلمي
جامعة الكويت
تأسس سنة ١٩٨٦

مجلة كلية الآداب والتربية (١٩٧٢-١٩٧٩)، مجلة العلوم الاجتماعية ١٩٧٣، مجلة الكويت للعلوم والهندسة ١٩٧٤، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ١٩٧٥، لجنة التأليف والتعريب والنشر ١٩٧٦، مجلة الحقوق ١٩٧٧، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٨٠، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ١٩٨١، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ١٩٨٣، المجلة التربوية ١٩٨٣، مجلة الأسس والتطبيقات الطبية ١٩٨٨، المجلة العربية للعلوم الإدارية ١٩٩١

حوليات
الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت

دورية علمية محكّمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية:

الآداب:

اللغة العربية وآدابها، اللغة الإنجليزية وآدابها، التاريخ، الفلسفة، الإعلام.

العلوم الاجتماعية:

الاجتماع، الجغرافيا، علم النفس، العلوم السياسية.

الحولية الثانية والعشرون

الرسالة الثامنة والسبعون بعد المئة

١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م

هيئة التحرير

د. نسيمة راشد الغيث
رئيسة التحرير

أ. د. سمير محمد حسين
قسم الإعلام

أ. د. ميشيل حنا متياس
قسم الفلسفة

د. عبدالرضا علي أسيري
قسم العلوم السياسية

د. عثمان حمود الخضر
قسم علم النفس

د. فهد عبدالرحمن الناصر
قسم الاجتماع

د. فيصل عبدالله الكندري
قسم التاريخ

د. ليلى حكمت المالح
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

د. فاطمة راشد الراجحي
قسم اللغة العربية وآدابها

هيفاء حمد المشاري
مديرة التحرير

الهيئة الاستشارية

أ. د. أحمد عتمان
قسم الدراسات اليونانية واللاتينية
جامعة القاهرة

أ. د. إسماعيل صبري مقلد
قسم العلوم السياسية – جامعة أسيوط

أ. د. جيهان رشتي
قسم الإذاعة والتلفزيون – جامعة القاهرة

أ. د. حياة ناصر الحجي
قسم التاريخ – جامعة الكويت

أ. د. عبدالعزيز حمودة
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها
جامعة القاهرة

أ. د. عز الدين إسماعيل
قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة عين شمس

أ. د. محمد غانم الرميحي
قسم الاجتماع – جامعة الكويت

أ. د. محمد محمود إبراهيم الديب
قسم الجغرافيا – جامعة عين شمس

أ. د. محمود رجب
قسم الفلسفة – جامعة القاهرة

أ. د. محمود سيد أبو النيل
قسم علم النفس – جامعة عين شمس

أ. د. محمود فهمي حجازي
قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة القاهرة

قواعد النشر في

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

١ – حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية دورية علمية محكمة تنشر مجموعة من الرسائل في الموضوعات المندرجة تحت اختصاص الأقسام العلمية بكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية.

٢ – تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصيلة باللغتين العربية والإنجليزية، على ألا تتجاوز صفحات أي بحث ٢٠٠ صفحة ولا تقل عن ٦٠ صفحة.

٣ – تقدم البحوث مطبوعة على مسافتين من ثلاث نسخ على ورق مقاس ٢١ × ٢٩سم (A4) وعلى وجه واحد فقط وترقم جميع الصفحات بما في ذلك الجداول والصور التوضيحية، ويراعى التصحيح الدقيق في النسخ جميعها. مع أهمية إرسال القرص المرن الخاص بالبحث.

٤ – يرفق الباحث ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية في حدود ٢٠٠ «مئتي» كلمة يتصدر البحث.

٥ – ترسم الخرائط والأشكال والرسوم بالحبر الصيني على ورق «شفاف» لتكون صالحة للطباعة. أما الصور الفوتوغرافية فتطبع على ورق لماع، وإذا كانت ملونة فلا بد من تقديم الشريحة الأصلية.

٦ – يراعى وضع خطوط متعرجة تحت العناوين الجانبية والألفاظ والعبارات التي يراد طبعها ببنط ثقيل.

٧ – تكتب في قائمة المصادر التفاصيل المتعلقة بكل مصنف من حيث اسم المؤلف كاملاً مبتدأ باللقب أو الاسم الأخير، وعنوان المصنف تحت خط متعرج وذكر الأجزاء أو المجلدات واسم المحقق أو المترجم ورقم الطبعة، ومكان النشر ثم اسم المطبعة أو دار النشر، ثم سنة النشر، ويتبع في قائمة المصادر النظام الآتي:

– الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

– تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، مصر، دار المعارف، د.ت.

– جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، ط٢، دار المعارف بمصر. د.ت.

- الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.

٨ - تثبت الهوامش على النحو التالي:

يذكر لقب المؤلف ثم الجزء ثم رقم الصفحة، وإذا كان للمؤلف أكثر من مصنف في البحث فيذكر لقب المؤلف ثم عنوان المصنف، ثم يليه الجزء، ثم رقم الصفحة، ويتبع في الحواشي النظام الآتي:

- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٩١.
- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢، ص١٢٠.
- الشايب، ص ٤٠.

٩ - توضع أرقام التوثيق بين قوسين وترتب متسلسلة حتى نهاية البحث، فإذا انتهت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى عند الرقم (٦) يبدأ التوثيق في الصفحة الثانية بالرقم (٧) وهكذا.

١٠ - أصول البحوث التي تصل للحوليات لا ترد ولا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

١١ - لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها، كما لا يجوز نشر البحوث في مجلات علمية أخرى بعد إقرار نشرها في الحوليات إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من رئيس تحرير الحوليات.

١٢ - تمنح إدارة الحوليات لمؤلف كل بحث منشور ثلاثين نسخة مجانية من بحثه.

١٣ - ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى:

رئيسة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية
ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية
رمز بريدي: 72452
الكويت

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab
http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/AFA/
E-mail: aotfoa@kuc01.kuniv.edu.kw

ثمن العدد					
الكويت ٥٠٠ فلس	الإمارات ١٠ دراهم	البحرين دينار واحد	قطر ١٠ ريالات	السعودية ١٠ ريالات	عمان ريال واحد
اليمن ١٠ ريالات	مصر ٣ جنيهات	لبنان ٣٠٠٠ ليرة	الأردن ٧٥٠ فلس	سوريا ٥٠ ليرة	السودان جنيه واحد
ليبيا ديناران	الجزائر ١٠ دنانير	تونس دينار واحد	المغرب ١٥ درهما		

الاشتراك السنوي				
سنوات الاشتراك	نوع الاشتراك	الكويت	الدول العربية	الدول الأجنبية
سنة واحدة	أفـــــراد	٧ دنانير	١٠ دنانير	٣٧ دولاراً
	مؤسسات	٣٧ ديناراً	٣٧ ديناراً	١٥٠ دولاراً
سنتان	أفـــــراد	١٢ ديناراً	١٧ ديناراً	٦٢ دولاراً
	مؤسسات	٦٢ ديناراً	٦٢ ديناراً	٢٥٠ دولاراً
٣ سنوات	أفـــــراد	١٧ ديناراً	٢٤ ديناراً	٨٧ دولاراً
	مؤسسات	٨٧ ديناراً	٨٧ ديناراً	٣٥٠ دولاراً
٤ سنوات	أفـــــراد	٢٢ ديناراً	٣٠ ديناراً	١١٢ دولاراً
	مؤسسات	١١٢ ديناراً	١١٢ ديناراً	٤٥٠ دولاراً

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية استفسارات أخرى توجه إلى رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – ص. ب: ١٧٣٧٠ الخالدية – الكويت: 72454 – ت: ٤٨١٠٣١٩ – فاكس ٤٨١٠٣١٩

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-aadab
E-mail: aotfoa@kuc01.kuniv.edu.kw
http://Pubcouncil.kuniv.edu.kw/AFA/

الرسالة: ١٧٨

طرق العرض في القرآن
الأهداف والخصائص الأسلوبية

د. بن عيسى باطاهر
قسم اللغة العربية – جامعة الشارقة
دولة الإمارات العربية المتحدة

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – الحولية الثانية والعشرون – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

المؤلف:

د. بن عيسى باطاهر

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها – الجامعة الأردنية عام ١٩٩٤م.

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم – جامعة الشارقة – دولة الإمارات العربية المتحدة.

عضو جمعية حماية اللغة العربية – الشارقة – الإمارات العربية المتحدة.

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

الإنتاج العلمي:

- أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ط١ دار الضياء، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م.
- المقابلة في القرآن الكريم ط١ دار عمار، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م.
- الدور الحضاري للعربية في عصر العولمة، ط١، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، ٢٠٠١م.

المحتـوى

ملخص ١٠

تمهيد ١١

١ – طريقة القرآن بين الوحدة والتنوع ١٦

٢ – ظاهرة التنويع في طرق العرض ١٩

❊ أهداف طرق العرض في القرآن ٢٤

❊ الخصائص الأسلوبية لطرق العرض في القرآن ٣٣

❊ خاتمة ٧٠

❊ الهوامش والحواشي ٧٢

ملخص

عُنيَت هذه الدراسة بالبحث في أهداف طرق عرض المعاني في القرآن الكريم وخصائصها الأسلوبية، وقدركّزت على خمسٍ منها رأيت أنّها الأكثر استخداماً في التعبير القرآني وهي: السرد المباشر (التلقين)، والحوار، والقصص، والتصوير، والمقابلة.

واعتمدت الدراسة على منهج ينظر إلى الموضوع من زاويته العامة التي تستوفي الجوّ العام للقرآن الكريم، ودراسة كلّ طريقة وفق المناهج الأسلوبية الحديثة التي تفضّل الدراسات المنهجية القائمة على الإحصاء، والخصائص العامة.

وقد كان من أهداف طرق العرض في القرآن الكريم تحقيق حاجات المخاطبين إلى الإقناع والإمتاع، وذلك باختيار الطرق التي تحرّك العقول، وتدعو إلى التفكير، وتوفّر الحاجات السيكولوجية والمبررات النفسية من خلال الجمال الفنّي المؤثر في التعبير، والذي يساعد النفوس على تقبّل الخطاب والاستمتاع به.

وقد امتازت هذه الطرق بجملة من الخصائص الأسلوبية يمكن إجمالها في ثلاث نقاط هي: أولاً: أنها تمتاز بقدرتها على عرض المعاني مشبعة بالأدلة فيّاضة بالبراهين، وهي قريبة التناول، سهلة الإدراك على النّاس، وثانيا: تمزج هذه الطرق بين الحقيقة الدينية والغرض الأدبي تحقيقاً لعنصر الجمال الفني في التعبير، وثالثاً: تمتاز هذه الطرق بالتلوين والتنويع في أساليب الأداء، ولا يتّبعُ القرآن تلك الطرق الوعرة التي يُفضّلها الفلاسفة وأهل الكلام، وإنّما يختار منها ما كان مناسباً للفطرة البشرية، وما كان قريباً إلى البداهة والحسّ.

تمهيد

إن القرآن الكريم هو مصدر الإسلام الخالد، ومعجزته البيانية الباقية على صفحات التاريخ بروح التحدي والإعجاز للبشر جميعاً على اختلاف مشاربهم، وتعاقب أجيالهم، على أن يأتوا بمثل هذا الكلام لفظاً وفكرة وتعبيراً، ومع الرغبة الأكيدة في إبطال هذه الحجة، والحرص الشديد على إثبات المعارضة سواء عند قدامى العرب من أهل البيان والفصاحة، أو عند من جاء بعدهم من أهل الفنون والصناعات الكلامية والمنطقية، وغيرها من العلوم الأدبية والعقلية إلى يومنا هذا، لم يصل إلى أسماعنا سوى العجز والاستسلام أمام بلاغة القرآن، وكان هذا العجز المتواصل دليلاً في سجل التاريخ يشهد لهذا الكتاب بروعة الأداء، وجمال النظم، وقوة المعنى، وغير ذلك من أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز.

وقد أشار الإمام السيوطي (٩١١هـ) إلى الحكمة الإلهية التي جعلت المعجزة القرآنية خالدة وفق هذا الشكل المرتبط أساساً بالعقل وحاجات النفوس الفكرية والوجدانية فقال: «أكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر»[١].

ولما كان القرآن معجزة عقلية، وكان قطعة أدبية غاية في البلاغة والفصاحة والجمال الفني، وكان على غرار ذلك كله كتاباً مليئاً بالحقائق والمعارف عن الله والإنسان والكون توجهت إليه همم الدارسين منذ القديم بالبحث والتفسير، والدراسة والتعليل، فكان للفقهاء والأصوليين فيه أهداف، ولهم إليه طريقة ومنهج، وللفلاسفة والمتكلمين فيه أهداف، ولهم إليه طريقة ومنهج، وللغويين فيه أهداف، ولهم إليه كذلك شرعة ووسيلة، وللبيانيين فيه أهداف، ولهم إليه طريقة ومنهج، ولغير هؤلاء من طلاب العلم والدرس أهداف ومناهج[٢].

وعلى كثرة ما كُتِبَ حول القرآن فإنه ما زال المَعين الذي لا ينضب، والمداد الذي لا ينفد[٣]، يمد الباحثين والدارسين بكل جديد في مجالات مختلفة، سواء أكانت في اللغة وعلومها، أم في التشريع ومقاصده، أم في التفسير ومقتضياته، وغير ذلك من أنواع العلوم الأخرى التي تتجلى فيها أسرار الإعجاز.

لقد نال البحث في إعجاز القرآن الكريم عناية الباحثين القدماء والمحدثين على السواء، وقد وصل بهم الدرس إلى اعتماد عدد من الأوجه المتباينة، غير أن الوجه البلاغي نال عناية كبيرة، واهتماماً واسعاً من قبلهم، فهو الوجه الذي ذهب إليه أكثر علماء النظر من أهل البلاغة ودارسي الإعجاز[٤] ذلك أنه يشمل جميع الآيات والسور القرآنية، ويتحقق في الجزء المتحدى به وهو أقصر سورة من القرآن الكريم.

وهذا الوجه البلاغي الذي قد فسر به الإعجاز هو الذي أمد القرآن أيضاً بذلك الحضور القوي في كل عصر، وبتلك الاستمرارية الجالبة للاحترام في كل بيئة ومصر، وهو الذي جعل التواصل المعرفي ممكناً عبر الأجيال المتعاقبة، لما فيه من عناصر الإقناع والإمتاع التي تفي بحاجات البشر، على الرغم من اختلاف الطبائع، وتنوع الأفهام والمشارب، ولعل هذا ما يفسر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في وصفه للقرآن بقوله: «هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه»[٥].

وبلاغة القرآن التي حققت تلك التغييرات الهائلة في النفوس منذ النزول الأول في غار حراء بدءاً بشخص الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي مر بفترة اضطراب نفسي، وقلق وجداني حتى وصل إلى الاقتناع الكامل بحقيقة الوحي[٦]، هذه البلاغة ينبغي أن تكون معلّلة كما قال الخطابي (٣٨٨هـ) قديماً، إذ لا يكفي ذلك الوصف العام الذي يردد مراراً «إن القرآن معجز ببلاغته» ما لم يبحث عن التفسيرات الأدبية والأسلوبية والمنطقية التي تعلل تلك الجوانب المشرقة في هذا الكتاب المعجز، وقد بدأ الخطابي نفسه تلك المحاولات لتعليل فكرة الإعجاز فقال: «اعلم أن القرآن الكريم إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصحّ المعاني، من توحيد له عَزَّتْ قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها الذي لا يُرَى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه»[٧].

لقد حاول الخطابي – رحمه الله – بهذا الكلام الوجيز تعليل الإعجاز بالإشارة إلى نظرية النظم، وحل إشكالية اللفظ والمعنى وأيهما مقدم في البلاغة التي

سيطرت على اهتمام البلاغيين ودارسي الإعجاز فترة من الزمان، ثم جاء بعده الإمام عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١-٤٧٤هـ) - رحمه الله - ففصل الحديث في قضية النظم، وبيّن أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة روح وجسد، وأن النظم القرآني هو سر البلاغة والإيجاز، وبه حاز القرآن شرف الإعجاز.

وطبق هذه النظرية أحسن تطبيق الإمام الزمخشري (٥٣٨هـ) - رحمه الله - في تفسيره المشهور بالكشاف، وقد لاقى كتابه هذا قبولاً واستحساناً لدى العلماء القدماء والمحدثين.

ووصلت الدراسات البلاغية حتى القرن الخامس الهجري إلى أحسن مستوياتها المنهجية والتطبيقية، ولكن البلاغيين ودارسي الإعجاز اتجهوا بعد ذلك اتجاهاً آخر، غلبت عليه روح القواعد البلاغية، فكثر التقسيم والمبالغة في المصطلحات، وزاد الاهتمام بالتذوق الجمالي لفنون بديعية خالصة على حساب التذوق الجمالي لمضامين النصوص، والبحث في الأساليب والأدوات التي تساهم في بلورة الأبعاد القيمية والجمالية في النصوص الأدبية وبخاصة في القرآن الكريم.

وجاء العصر الحديث - الذي عرف تطوراً كبيراً في مناهج البحث - بمحاولات جادة لإعادة الدرس البلاغي إلى وجهته الصحيحة، والعودة بالبلاغة إلى الصفاء والنضارة بعد قرون من التقليد والاجترار والتكرار. وعادت جهود الدارسين لتنصب حول التعليلات القيمية، والتفسيرات الجمالية، والتحليلات الأسلوبية لفهم النص القرآني فهماً عصرياً يضيف مفاهيم جديدة إلى تلك التي قررها الدارسون القدماء، ولا يتسع هذا المقام لاستعراض هذه الأبحاث والدراسات الكثيرة، وإنما سنذكر منها دراسة واحدة أثير حولها جدل كثير من قِبَلِ المهتمين بقضايا الأدب والنقد، وهي دراسة الأديب الناقد سيد قطب «التصوير الفني في القرآن»[٨].

وقد خُصَّت هذه الدراسة بالذكر لما لها من علاقة مباشرة بموضوع بحثنا، فضلاً عن كونها من الدراسات الجريئة التي خرجت عن الإطار العام المألوف لدى الدارسين القدماء. وهو الإطار الذي يبحث في قضية اللفظ والمعنى والنظم ومتعلقاتها الأخرى بمنهج يتسم في الغالب بالنظرة الجزئية في النصوص، أما هذه الدراسة فنظرت إلى قضية الإعجاز في إطار عام وشامل للقرآن الكريم كله مع محاولة الإجابة

عن السؤال التالي: هل القرآن معجز ومؤثر ومقنع بمعانيه وأفكاره، أم بأساليبه وطرق عرضه؟

لقد أجاب سيد قطب عن ذلك بأن قال: «إن للقرآن طريقة موحدة في التعبير، يتخذها في أداء جميع الأغراض على السواء، حتى أغراض البرهنة والجدل، تلك هي طريقة التصوير التشخيصي بواسطة التخييل والتجسيم، وإن هذه الطريقة التي اتبعها القرآن هي التي أبرزت هذه الأغراض والموضوعات، فهي كفاء هذه الأغراض والموضوعات»(٩).

وقد قام الدارس بدراسة إحصائية أثبت فيها أن طريقة التصوير تؤلف على التقريب أكثر من ثلاثة أرباع القرآن من ناحية الكم(١٠)، أما من ناحية الكَيْفِ فهي حاضرة في القصة، ومشاهد القيامة، ومواقف الجدل، والنماذج الإنسانية، والحالات النفسية، والوقائع التي عاصرت الدعوة المحمدية، وكانت خلاصة هذه الدراسة أن التصوير هو الأداة المفضلة في الأسلوب القرآني(١١).

إن النتائج المنهجية التي كشفت عنها الدراسة – مع أهميتها – بحاجة إلى مراجعات دقيقة للتأكد أولاً من جميع العناصر المشكلة لهذه النظرية، ثم للتأكد ثانياً من نتائج الإحصاءات التي قامت عليها الدراسة، ثم للإجابة ثالثاً عن التساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح، وهو هل للقرآن الكريم طريقة موحدة في العرض هي التصوير يُعْتَمَد عليها في غالب الأحيان، وجميع الطرق الأخرى تنطوي تحت هذه الطريقة؟ أم أن هناك طرقاً أخرى متنوعة يأتي الاعتماد عليها حسب المواقف والموضوعات والأغراض المتناولة؟

لقد كتب الدكتور «عبدالمنعم خلاف» ردوداً مستفيضة(١٢) على دراسة «سيد قطب» تستحق منا الوقوف عند بعض ما جاء فيها، فقد اعترض على مبدأ التعميم في الحكم على أن التصوير هو القاعدة الأساسية في التعبير القرآني، بينما هو في الحقيقة أسلوب واحد من الأساليب التي يعتمد عليها القرآن، كما شكك في تلك الإحصائية التي تجعل طريقة التصوير شاملة لثلاثة أرباع القرآن، وقد ردَّ «سيد قطب» في حينها على ذلك بقوله: «أنا أزعم أن الطريقة المفضلة هي التصوير»(١٣).

ومع أهمية هذا الموضوع فإننا لا نكاد نجد أحداً من الباحثين بعد الدكتور

«خلاف» – في حدود ما نعلم – قد تناول هذا الموضوع بمنهج واسع غني بالأدلة والبراهين لإثبات حقيقة التنوع في أساليب العرض، أو التسليم عن يقين بأن طريقة التصوير هي الأسلوب المفضل في التعبير اقرآني.

وتأتي هذه الدراسة لتنظر إلى هذا الموضوع من زاوية أوسع، وستفيد من تلك الدراسات الأسلوبية الحديثة وبخاصة في محورها العام الذي يقيس القضايا بالمقاييس الكلية العامة، هذا مع الاستنارة بالدراسات البلاغية القديمة والحديثة التي قد تدعو الحاجة إليها أحيانا، إضافة إلى القيام بمسح إحصائي جديد يتناول الآيات والسور القرآنية جميعها؛ للتأكد من تلك الإحصاءات السابقة حتى يدخل البحث في أفق المنهج الأسلوبي المتبع الآن في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة.

١ - طريقة القرآن بين الوحدة والتنوع

إن الطريقة التي اتبعها القرآن الكريم في التعبير قد أبرزت جملة من الخصائص الجمالية، والقيم المعنوية التي يدركها ويتذوقها كل من يعرف فنون القول في العربية، والبحث في هذه الطريقة ضروري لفهم خصائص التعبير القرآني وتفسيرها وهذا يحتاج بداية إلى منهج في الدراسة جديد لا ينظر إلى الموضوع من الزاوية اللغوية البحتة، أو من الزاوية الدلالية المجردة، أو على طريقة القدماء في تناول الألفاظ والمعاني، وإنما ينظر إليه من الزاوية العامة التي تستوفي الجو العام للقرآن الكريم كله، إذ من البداهة أن تكون نتائج الدراسة بالمنهج الأول – وهو المنهج القديم – غير قابلة للتردد أو الشك بأن في القرآن جملة كبيرة من الأساليب تتنوع حسب حاجات النفوس ومقامات المخاطبين كما هو مثبوت في ثنايا كتب البلاغة القديمة، أما البحث الأسلوبي فسيتجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى تستجلي النظر في القرآن الكريم كله لمعرفة طرقه في التعبير سواء تنوعت أم اجتمعت في اتجاه واحد.

إن الدراسات البلاغية والنقدية القديمة لا يمكن أن تسعفنا بالإجابة اليقينية عن هذا السؤال، لأن معطيات المنهج المتبع في الدراسة – وهي النظرة الجزئية في النصوص غالباً – عاجزة عن ذلك ولا ريب، أما الدراسات التي قصدت هذا القصد الجاد في طريق البحث المنهجي لمحاولة الإجابة عن ذلك التساؤل الكبير فلا نعلم بدايتها إلا عند «سيد قطب» في دراسته السالفة الذكر، فهي دراسة خارجة عن الأطر البحثية القديمة حتى في النظر إلى قضية الإعجاز، وفي استخدام المصطلح، وفي تناول الموضوع، وخلاصة هذه الدراسة أن هناك طريقة واحدة في الأداء القرآني، وهي تتشكل في أسلوب التصوير الذي يفضله التعبير القرآني لأداء المعاني والأغراض المختلفة، وتتجسد هذه الطريقة في أربعة أشكال[١٤]:

١ – صور فنية مجردة.

٢ – قصص فني تتتابع فيه الصور وتتلاحق.

٣ – حوار يميل إلى القصة تارة وإلى الصور المجردة تارة.

٤ – تعبيرات فنية عن حالات نفسية ومناظر طبيعية.

إن المتأمل في القاعدة الأساسية التي تقوم عليها نظرية التصوير هذه يدرك أنها تقوم على وحدة الطريقة في عموم القرآن، فهناك طريقة واحدة في العرض يفضلها القرآن دائماً في التعبير بالصورة الفنية، وقد دافع «سيد قطب» عن هذه النظرية في كتاباته، وردَّ على الرأي المخالف الذي يرى تعدد طرق العرض بقوله: «إن الصور في القرآن ليست جزءاً منه يختلف عن سائره، إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض، فيما عدا أغراض التشريع بطبيعة الحال[١٥].

إن التعميم في الحكم على أن القرآن الكريم يتبع طريقة واحدة في التعبير عن جميع أغراضه ما عدا موضوعات التشريع يستند إلى القول بأن الكلام لا يعرف سوى طريقتين في التعبير، طريقة تجريدية تسوق المعنى في ثوبه المباشر مجرداً من أية إضافات فنية، وطريقة تصويرية تبرز المعنى في صورة حية متحركة مليئة بالظلال والألوان والحركة والحوار، وقد اتبع القرآن الطريقة الثانية حرصاً منه على إبراز المعنى في صورته الجميلة، ووصولاً به إلى الغايات التأثيرية والإقناعية، وهذا التعميم في الحكم يجعلنا ننظر إلى طريقة التعبير من زوايا أخرى غير هذه الزاوية، فالأحكام المطردة عند الدارسين القدماء والمحدثين تقرر أن للكلام طرقاً كثيرة في التعبير، وما التصوير سوى إحدى هذه الطرق، وقد أشار القرآن نفسه إلى هذا التعدد في بعض الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (الكهف الآية: ٥٤)، ومعنى تصريف الأمثال تنويع الأساليب وتلوينها، لأن أداء المعنى في أكثر من أسلوب يناسب عقول الناس وضمائرهم، ويلبي حاجاتهم المتباينة.

وإذا كنا قد سلمنا بأن مناهج القدماء في البحث واعتمادهم على النظرات الجزئية – مع ما فيها من مباحث مفيدة – قد لا تسعف الباحث في أحكامه العامة، فإن الاعتماد على بعض آرائهم في الاستدلال على القضايا قد يغني البحث بمواد كثيرة مثل قولهم بتعدد الأساليب الكلامية، والطرق التعبيرية في القرآن، كما يظهر في الحوار، والسرد، والقصة، والتمثيل، والقسم، وغير ذلك من الأساليب المتنوعة[١٦].

أما خصائص الأسلوب في القرآن الكريم فتتوزع في بعض العناصر التي

كشف عنها البحث البلاغي قديما وحديثا[١٧] وما زالت الدراسات والأبحاث تسعى إلى الكشف عن الجديد من الأسرار التي لا نظنها تنتهي في عصر من العصور، كما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «وهو الذي لا تنتهي عجائبه»[١٨].

إن المتعامل مع القرآن قراءة وتدبراً سواء في بعض الآيات والسور، أو في القرآن الكريم كله يدرك أن في القرآن طرقاً متنوعة، وأساليب مختلفةو ويمكن تلمس ذلك بالذهن وبالبداهة والشعور، فالأمر في واقع الحال لا يحتاج إلى إعمال فكر أو دقة نظر، ولكن المتأمل الحصيف يدرك أيضاً أن هناك طرقاً في التعبير، قد لا تتجاوز الخمس هي الأبرز من غيرها، وهي بمثابة القواعد الأساسية التي يقوم عليها التعبير القرآني كله، وأن قاعدة التصوير هي واحدة من تلك القواعد، وسيكشف البحث عنها بعد الحديث عن ظاهرة التنويع التي تشكل – في رأينا – إحدى خصائص الأسلوب القرآني.

٢ - ظاهرة التنويع في طرق العرض

إن تعدد الأساليب البلاغية والوسائل البيانية ظاهرة واضحة في القرآن الكريم، وهي إحدى خصائص الأسلوب في هذا الكتاب الذي يهدف إلى توصيل دعوته إلى الناس جميعا منذ النزول الأول حتى قيام الساعة، هذه الدعوة التي أمر بتبليغها الرسول – صلى الله عليه وسلم – سيراً على نفس المنهج في تنويع الأسلوب، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل الآية: ١٢٥).

لقد جاءت هذه الآية واضحة المعالم في ضرورة تنويع الأساليب، وتحديد الوسائل الخطابية التي تناسب أصناف البشر، وقد حدد الفخر الرازي (٦٠٦هـ) في تفسيره هذه الأصناف[١٩]، وتبعه في ذلك بعض الدارسين المحدثين[٢٠]، وقد وزعت في ثلاث طوائف هي على الترتيب التالي:

أ – طائفة متميزة بنفوس قوية الاستعداد لإدراك المعاني العقلية المنطقيةو وأهل هذه الطائفة هم من الحكماء والفلاسفة الذين لا يصدقون إلا بالبرهان القاطع، ولا تقنعهم سوى الحجة العقلية القوية.

ب – وطائفة ثانية من البشر يغلب على أصحابها التقليد أو الميل إلى مذهب ديني، ويمتاز أهلها بالمعرفة والعلم، ولكن في درجة أقل من الطائفة الأولى لما غلب عليهم التعصب المذهبي.

ج – أما الطائفة الثالثة، فتمثل الجمهور الأعظم من الناس، وهم أقرب في طباعهم إلى الفطرة والسذاجة، وهم عوام الناس الذين لا يعرفون سبيلاً إلى فهم الأدلة المنطقية أو المجادلات المذهبية.

والآية السابقة – فيما يبدو – شاملة لهذه الطوائف الثلاث التي ذكرناها، فالحكمة هي نوع من الخطاب الهادف المشبع بالدليل الموجه لخواص الناس، أي طبقة الفلاسفة ومن حذا حذوهم، والموعظة الحسنة هي التي تدخل القلوب بدون استئذان، وتتعامل مع المشاعر بحرارة، وهي تناسب الجمهور الأعظم من الناس من

الذين يسمون بالعوام وهم الأكثرية الغالبة، أما الجدال بالتي هي أحسن فهو أسلوب يناسب أهل العلوم من المذاهب والديانات الذين تطمئن نفوسهم لطريقة الجدل والمحاورة في الاستدلال والمحاجة.

إن اشتمال هذه الآية على هذه المعاني الواضحة في كيفية مخاطبة الناس بالأساليب التي تناسبهم، يدل على أن الفكرة التي يريد القرآن بثها في النفوس المتباينة في طبائعها، والمختلفة في تفكيرها واستعداداتها النفسية والثقافية، لا بد لها من تنويع في الوسائل والطرق في العرض حتى تتمكن من ملامسة تلك النفوس، وتلبية حاجاتها من الفائدة الفكرية، والمتعة الوجدانية، وبخاصة إذا علمنا أن تحقيق شروط الإقناع والإمتاع في مثل هذه الظروف والمعطيات المتضادة أمر في غاية الصعوبة والتعقيد؛ ذلك أن التعامل مع النفس البشرية جذباً أو دفعاً أمر يحتاج إلى معرفة الوسيلة المناسبة على غرار المعرفة الأكيدة بالنفس ذاتها.

إن التباين الذي يُلاحظ بالبداهة بين الناس، سواء في الاستعداد والتكوين، أو في الثقافة والتفكير، أو في اختلاف القيم والعادات والمحيط الاجتماعي والبيئة الحضارية، كل ذلك يعمق الفوارق والاختلافات بين الناس، وهذا ما يقرره القرآن الكريم نفسه حيث يقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ (سورة هود الآية: ١١٨، ١١٩).

ويؤكد علماء النفس والاجتماع كذلك أن الفوارق النفسية والاجتماعية والثقافية بين الأفراد في الجماعات الإنسانية أمر طبيعي، وإن هذا الاختلاف يأتي في سياق اختلاف التنوع الذي فطر عليه البشر، وهو مناسب لاستمرارية الجماعات، التي لا بد أن تتكامل فيها الطاقات والقدرات كلها لتحقيق غاياتها من إقامة شبكة علاقات اجتماعية تستمر معها الحياة، وتتطور في إطارها الجماعة.

وقد اهتم عالم الاجتماع «جوستاف لوبون» Le Bon. G الذي تناول موضوع الجماعات الإنسانية وكيفية التعامل معها تأثيراً وإقناعاً، وذلك في إحدى دراساته المميزة[٢١]، وقد توصل إلى نتائج علمية في غاية الأهمية استفادت منها بعض المجتمعات الغربية في كيفية التعامل مع الجماعات والتأثير فيها، وبعث الإرادة لديها لعمل شيء يساعد في الدفع الحضاري للمجتمع، وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة

وغيرها في هذا المجال فإنها ترشدنا كذلك إلى أهمية الموضوع من زاوية أخرى هي زاوية الوسيلة أو ما يسمى بعلوم الآلة، أو الشروط التي يجب أن تتوفر في الرسالة الموجهة إلى أفراد المجتمع وهي في الغالب شروط تتعلق باللغة وما ينبغي أن يتوفر فيها من خصائص لتأدية المطلوب منها، وهو توصيل الرسالة المؤثرة التي توفر شروط الإقناع والتأثير، وما يتبع ذلك من إرادة وعمل.

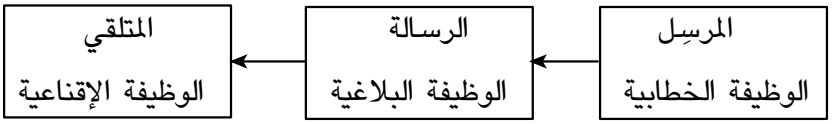

واللغة هنا تتشكل في رسالة بلاغية ينبغي لها أن تعرف منافذ الدخول إلى ذهن المتلقي ووجدانه، والتأثير في جميع قواه النفسية والإدراكية، والإحاطة به من جميع الجهات، ويكون للغة بناءً على هذا غايتان:

١ – غاية إقناعية فكرية يكون للعقل فيها النصيب الأكبر.

٢ – غاية إمتاعية تأثيرية يكون للعاطفة فيها النصيب الأوفى.

وتتشكل بالضرورة عن هاتين الغايتين غاية أخرى تتعلق بالإرادة التي تبعث الحركة والنشاط في النفس حين تسعى لعمل شيء يكون هو المراد في هذه العملية الخطابية.

والقرآن الكريم بلغته المتميزة وأسلوبه الفريد هو الرسالة الموجهة إلى البشر جميعهم أسودهم وأبيضهم، وعربهم وعجمهم، لتحقيق غايات دينية بالدرجة الأولى، ثم تحقيق غايات أدبية وبلاغية في سياق من الانسجام والتكامل في تلك الرسالة الخالدة.

والملحوظ في القرآن الكريم حين التعامل معه منذ الوهلة الأولى أنه كتاب متنوع الوسائل والفنون، فعلى الرغم من أن الأفكار التي يحتويها قد تكون محدودة الأهداف والتكاليف، فإنه يحرص دائماً على عرض الفكرة الواحدة في أساليب شتى، وطرق متباينة ليست من التكرار في شيء كما قد يظهر للعيان الساذج، وإنما هو نوع من الإبداع في اللغة يُنوّع معه القرآن في طرق عرضه، ولا يشعر القارئ أو المتلقي بأي ملل أو فتور في عملية تلقي الخطاب.

فالظاهرة الحقيقية في القرآن الكريم ليست التكرار الذي قد يخرج عن الأصول البلاغية للغة الجميلة، وإنما هي ظاهرة التنويع التي تخرج معها المعاني والأفكار – وإن كانت مكررة – في قوالب متنوعة الأشكال، كل قالب له طابعه الخاص من حيث الأسلوب وطريقة العرض، ولا يجد المتلقي أية إشكالية في قبول هذا الأسلوب المنوع، بل ستجده مقبلاً عليه بشغف وحماسة لتذوق هذه الأشكال المتنوعة، ويجد فيها غايته الفنية والجمالية على غرار غايته الدينية والفكرية.

إن التنويع في طرق العرض في القرآن ليست ظاهرة طبيعية يقتضيها فن القول فحسب، بل هو منهج متبع مقصود له أهداف يرمي إليها، وله خصائص يسير عليها، ومن هنا فسر محمد الغزالي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ (الكهف الآية: ٥٤) بأن المقصود من ذلك التنويع في طرائق العرض، وأساليب التعبير، أي إن القرآن الكريم لوَّن حديثه للسامعين تلويناً يمزج بين إيقاظ العقل والضمير معاً، ثم تابع سوقه متابعة إن أفلت المرء منها أولاً لم يفلت آخراً، وذلك هو تصريف الأمثال للناس، إنه إحاطة الإنسان بسلسلة من المغريات المنوعة لا معدى له من الركون إلى إحداهما»[٢٢].

فالتنويع في طرق العرض إذن منهج مقصود بنص هذه الآية وبغيرها من الآيات الأخرى، منها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ (الزمر الآية: ٢٣)، والمثاني جمع مثنى بمعنى مردود ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده[٢٣]، وهو ما نسميه نحن بالتنويع في طرق العرض.

ولا يظن ظان أن المقصود بطرق العرض هنا تلك الأساليب التي يقوم عليها الكلام – أي كلام – من خبر وإنشاء، واستفهام وتعجب، ونداء وأمر، وغير ذلك من الأساليب الفرعية الكثيرة التي كثر الحديث عنها في كتب البلاغة القديمة، وإنما المقصود بها تلك الطرق العامة في العرض التي يقوم عليها النظم القرآني كله، وتأتي شاملة لكثير من الآيات والسور، ويأتي تفضيل القرآن الكريم لها للتعبير عن أغراضه الكثيرة، وتنبني هذه الطرق على تلك الأساليب الفرعية الأخرى، وبمعنى آخر هناك طرق في العرض عددها خمس، هي – في رأينا – قوام الأشكال والوسائل جميعها

المستخدمة في القرآن، وهذه الطرق يفضلها القرآن – كما سيظهر بالدراسة والإحصاء – على غيرها، ويستخدمها في مكانها المناسب عن قصد منه لتحقيق أهداف دينية، وقيم أدبية.

ويمكن تحديد هذه الطرق – بعامة – قبل الحديث عنها بالتفصيل على النحو التالي:

١ – السرد المباشر، ويسمى أيضاً أسلوب «التلقين».

٢ – الحوار، وله أشكال متنوعة في القرآن منها الجدل الذي يقتضي في أغلب الأحيان الخصومة.

٣ – القصص، وهو أحد الطرق البارزة في القرآن، والدراسات حوله كثيرة ومتنوعة.

٤ – التصوير وهو أحد الطرق المفضلة في التعبير القرآني، ولكنه ليس الطريقة الوحيدة المفضلة دائماً.

٥ – المقابلة، وهي إحدى طرق العرض التي يعتمد عليها القرآن في مواطن منه، وقد كشف عنها النقاب في دراسة مستقلة[٢٤].

أهداف طرق العرض في القرآن

سيكون النظر إلى الأهداف التي تسعى إليها طرق العرض في القرآن من زاويتين:

أولاهما: الزاوية النفسية التي بموجبها يتحقق الهدف الفكري الإقناعي.

وثانيهما: الزاوية الجمالية التي تحقق الهدف الوجداني الإمتاعي.

والقرآن الكريم بخصائصه العامة يهدف إلى مخاطبة النفس الإنسانية منذ نزوله الأول وعلى تعاقب الأزمان والأجيال، وهو في هذا الخطاب يسعى سعياً مقصوداً إلى مزج حقائقه بالنفس مزجاً تتحقق به الإرادة الفاعلة المبنية على التصور السليم والسلوك القويم، وذلك بمد العقل بالإقناع التام القائم على الأدلة والبراهين الواضحة، وتغذية العاطفة بالإمتاع المستمد من جمال تعبيره، وروعة بيانه.

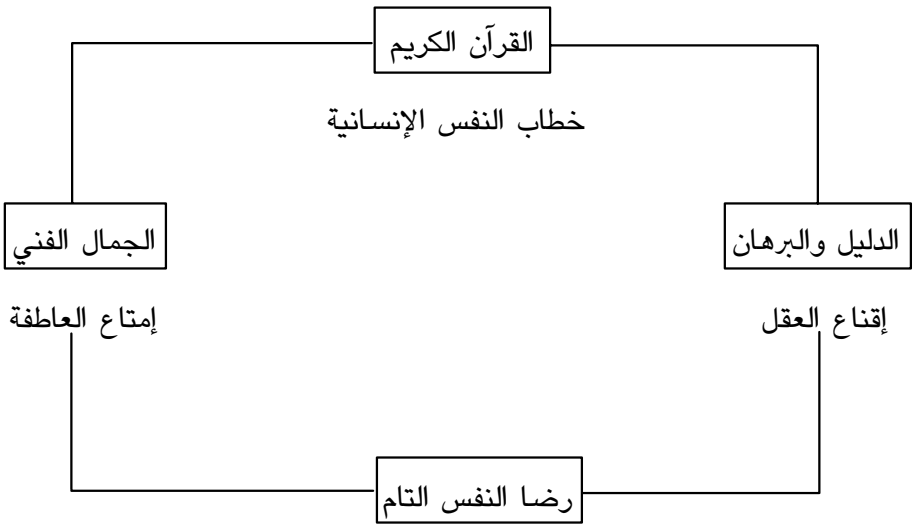

وقد ذكر محمد الغزالي أن القرآن الكريم بحقائقه وطرقه في العرض والخطاب يشبع العقل والعاطفة[٢٥]، وأنه يقيم توازناً بين القوى الإدراكية والقوى الشعورية في

النفس الإنسانية بحيث لا يطغى جانب على آخر، ولا يُرى سوى التوافق والانسجام في عملها، فيأخذ العقل نصيبه من الاقتناع، وتأخذ العاطفة حاجتها من الإمتاع، وتحصل النفس بذلك على الرضا التام والقناعة الكاملة، وهذا هو الذي يولد الإرادة نحو عمل شيء يريده الخطاب القرآني.

ولعل تفسير تلك الاستمرارية الفكرية، والحضور القوي للخطاب القرآني في كل الأزمنة والأمكنة بهذه القدرة على التعامل مع النفس الإنسانية، ومعرفة جوانبها وحاجاتها الضرورية جميعها أمر له أهميته في بيان العلاقة الوثيقة بين خلود القرآن وإعجازه النفسي، هذا الإعجاز الكامن في ما تضمنه القرآن من حقائق فطرية تناسب النفس الإنسانية، إلى جانب استخدام الوسائل التربوية لتوجيه الإنسان مع التركيز على جوهر الإنسان الواحد والثابت داخل الإطار الإنساني، فتقرأ في القرآن مواقف الحقد والغيرة، ومواقف الإيمان والظلم، وكأنها مواقف معاصرة تجري مع أحداث الإنسان المعاصر(٢٦).

إن الحقائق التي يعرضها القرآن في آياته وسوره لها وظيفتها الأكيدة في مخاطبة النفس واستمالتها إلى الحق، إذ الهدف الأساسي من الخطاب البلاغي هو توصيل المعاني إلى النفوس كما قال الرماني (٣٨٦هـ) قديما(٢٧) ولكنْ تبقى هذه المعاني رموزاً ذهنية إذا لم تتشكل في قوالب لفظية تعرف طريقها إلى النفوس، والقوالب اللفظية هي الأشكال التي تعرض فيها المعاني مجسدة في نظام لفظي وصوتي له دلالة معنية.

وتأتي هذه الأشكال اللفظية – وهو ما سمَّيناه بطرق العرض – لتساهم بدور كبير في مخاطبة النفس الإنسانية، وتحقيق شروط الإقناع والإمتاع لديها، وقد لا نبالغ إذا قلنا إن طرق العرض هي التي بإمكانها مخاطبة النفس والضرب على أوتارها المختلفة، والدخول إلى منافذها بوسائل شتى.

وطرق العرض في القرآن تعتمد على الوسائل البلاغية المحققة لعناصر الكمال في التعبير، وتتجلى هذه الوسائل في براعة الأداء، وتناسق الأجزاء، وجمال العرض، إضافة إلى قدرتها على استخدام الأساليب التي تحرك قوى النفس، وتنشط الطاقات الكامنة لديها لفهم المعاني وإدراكها كما سيظهر ذلك في الأجزاء التالية من البحث.

ونقف الآن عند كل طريقة من طرق العرض في القرآن لتحديد الأهداف التي يسعى إليها القرآن الكريم من خلال استخدامه لكل طريقة وتفضيلها على غيرها في المقامات والمواقف المختلفةو وسيكون الحديث وفق الترتيب التالي:

(١) السرد، (٢) الحوار، (٣) القصص، (٤) التصوير، (٥) المقابلة.

(١) السرد

يعتمد القرآن الكريم في جوانب منه على طريقة السرد المباشر وهي طريقة تلقينية لا يخلو منها أي كلام بليغ، والسرد المباشر أو (التلقين) كما اصطلح عليه العلماء، هو سَوْق الحقائق، وتقرير الأصول وبيانها بيانا شافياو تطمئن إليه العقول بما يتخلله من شواهد الصدق، وتَهَشُّ له القلوب بما تجده فيه من إرضاء لتطلعها إلى معرفة الحق وإرواء لظمئها إلى الحقيقة[٢٨].

وطريقة السرد المباشر هذه ضرورية في سياق التعبير عن الأخبار والحقائق الغائبة عن الذهن، وبخاصة إذا علمنا أن القرآن الكريم قد خاطب عقولاً جاهلة للحق، وناجى نفوساً بعيدة عن الصواب، فكان يسوق أخباره ويسرد حقائقه تقريراً للهداية، وتقويماً للسلوك، وتصحيحاً للعقائد، ومثلت هذه الأهداف في أبعادها المختلفة جوهر الدعوة في القرآن.

ولكن ما الهدف النفسي الذي يرمي إليه القرآن باستخدام هذه الطريقة في التعبير؟ وهل للسرد المباشر علاقة باستثارة النفوس وتحريك قوى التفكير والإدراك لديها؟

يشير القرآن الكريم إشارات واضحة في بعض الآيات التي يكون عمادها هذه الطريقة السردية إلى أن الهدف الذي ينبغي أن يتحقق بعد سرد الحقائق والأخبار هو الاستجابة الفورية للنفوس، بحيث تتحرك العقول لتؤدي وظيفتها الإدراكية، وتنشط المشاعر لتؤدي دورها التذكري، وكثيراً ما تأتي بعض فواصل الآيات داعية إلى التفكير والتذكر بعد الاستخدام المباشر لطريقة السرد، من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد الآية: ٣)، بعد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ

يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ (الرعد الآية: ٣) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل الآية: ١٣) بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ (النحل الآية: ١٣)، وغير ذلك من آيات كثيرة تدعو إلى استخدام العقل والقلب بعد سماع الحقائق والآيات الواضحة.

فالتفكر والتذكر واستخدام الطاقات الكامنة في النفوس وصولاً إلى الاقتناع بالحقائق القرآنية هي غايات تسعى إليها طريقة السرد المباشر، التي من أبرز خصائصها – كما سيأتي تفصيله – سوق المعاني بأسلوب واضح مشبع بالأدلة، فياض بالبراهين، قريب التناول إلى القلوب والعقول كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (البقرة الآية: ١٦٤).

وقد جاء في تفسير هذه الآية أن الله قرر الدلائل كلّها واضحة من أصناف المخلوقات، وهي مع وضوحها تشتمل على أسرار يتفاوت الناس في دركها حتى يتناول كل صنف من العقلاء مقدار الأدلة منها على قدرقرائحهم وعلومهم، وفي قوله تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بآيات ذلك ليست عقولهم براسخة، ولا هي ملكات لهم[٢٩].

(٢) الحوار

ويعتمد القرآن الكريم في جوانب أخرى منه على طريقة الحوار، وهي طريقة تتخذ أشكالاً متنوعة في الآيات والسور، فتارة يكون الحوار مع الخصوم، وهو ما يسمى بالجدل في اصطلاح القرآن، وتارة يكون مع عموم المخاطبين، وتارة يكون في القصص ليضيف إلى القصة عنصراً من عناصرها الحيوية، وهذا الغنى والتنوع في الحوار القرآني جعل منه قاعدة أساسية في دعوة الناس إلى الإيمان بالله وعبادته[٣٠].

وطريقة الحوار في القرآن لها أهدافها النفسية وأبعادها التربوية، فغاية القرآن هي «مخاطبة الإنسان ليحصل على الإقناع الذاتي المقرون بالحجة والبرهان في إطار

الحوار الهادئ العميق سواء في ذلك قضايا العقيدة أو قضايا الحساب والمسؤولية، فلكل سؤال جواب، ولكل علامة استفهام تواجه الإنسان في الطريق علامات في كل منعطف تشير إلى الحقائق الجلية»[٣١].

وقدرة الحوار على توفير أسباب الإقناع للنفس الإنسانية جعلت القرآن يفضله في مواطن كثيرة منه، وبخاصة في تلك التي تقتضي الاستدلال والمناقشة لإفحام الخصوم والمعارضين، وإقامة الحجة على المنكرين كما نلاحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الأنبياء الآية: ٢٤)، والآيات في مثل هذا السياق كثيرة يدركها متدبر القرآن.

إذن تتجلى أهداف القرآن من استخدام هذه الطريقة في أمرين:

أولهما: خطاب البشر بطريقة تناسب نفوسهم المجبولة على الجدال مع الرغبة في حب الاستطلاع والقرآن كعادته دائماً يختار الطرق والأساليب التي يجد الناس فيها حاجتهم الفكرية والأدبية، والحوار أحد الطرق المفضلة لدى الناس في حياتهم الخاصة والعامة، وهو مناسب لما فطرت عليه نفوسهم في أصل تكوينها من حب الكلام والمحاورة، وكثرة السؤال والمجادلة.

ثانيهما: تحريك العقول وتنشيط النفوس لمعرفة الحقائق وإدراك المطالب التي يريدها القرآن، والحوار طريقة فعالة في تحقيق هذه الغاية، إذ يكون عرض الحقيقة في أسلوب فيه أخذ ورد، وفيه شد وجذب، وفيه تتفتح العقول وتنشط القرائح للتفكير في أصول الأشياء، والتمعن في الأفكار المتشابهة والمسائل المضادة، تحقيقاً للإقناع الذاتي المشبع بالدليل والبرهان، ونلمس ذلك في بعض الآيات التي تسوق الحوار الهادف إلى بعث مثل هذه الحركة، والنشاط في العقل كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (النمل الآية: ٥٩، ٦٠).

(٣) القصص

ومن الطرق التي يعتمد عليها الأسلوب القرآني باطراد طريقة القصص، وهي طريقة في العرض تؤدي المعاني بأسلوب مشوق، وتسوق الأفكار في قالب أدبي أخاذ، وقد قرر الدارسون أن القصص في القرآن وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير[٣٢] وأنه يؤدي أهدافاً دينية وأدبية وتربوية كثيرة، والسبب في ذلك راجع إلى قدرته على أداء المعنى بطريقة غير مباشرة تجتمع فيها أنواع من الأساليب كالسرد والحوار، والحركة والتصوير إلى غير ذلك من الطرق والفنون التي تشد الأسماع، وتستميل النفوس.

وإذا كان القصص القرآني بمستواه الفني الرفيع، وبأسلوبه الأدبي الجميل قد سيق لأداء أغراض كثيرة فليس ليكون عملاً فنياً مقصوداً لذاته هدفه المتعة والإثارة وغير ذلك من الأهداف القريبة التي يعرفها ويتذوقها البشر في قصصهم المتنوع، وإنما سيق بهذه الصورة لأداء أهداف بعيدة تجمع بين قضايا الدين الأساسية كإثبات الوحدانية، والرسالة، والبعث والجزاء، وبيان سنن الله الكونية، وبيان قضايا الأدب والفن التي تبرز بلاغة الكلام وفصاحته، وجمال الأسلوب ورونقه، ليحصل المخاطب من ذلك على الغايات الدينية والأدبية في آن واحد.

ويساق القصص في القرآن للعبرة قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف الآية: ١١١)، ويساق أيضاً لدفع الناس وتحفيزهم إلى التفكير قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف الآية: ١٧٦)، والتعليل النفسي لذلك هو أن البشر مجبولون على التعلق بالأخبار القصصية، وحبهم للاستطلاع يجعلهم يفضلون سماع كل ما هو مسوق في فن قصصي يشد أسماعهم بما فيه من المتعة والإثارة وعناصر التشويق، إضافة إلى تعلق الناس الفطري بماضيهم القريب والبعيد، وحبهم وتشوقهم إلى معرفة أخبار القرون الماضية والاستفادة من تجارب الأولين، كل ذلك يجعل القصص أحد وسائل الخطاب الأساسية في القرآن، وذلك لتوجيه النفوس وتربيتها وإقناعها وحملها على قبول الحق.

ولأهمية هذا البعد الوظيفي للقصة في القرآن لم يكتف القرآن بعرض القصة

الواحدة في الموطن الواحد، بل كرر بعض قصصه في مواطن مختلفة، وبأشكال متنوعة للتأكيد على أن الوظيفة السيكولوجية للقصص قائمة على منطق ربط النفوس بالحقائق في ديمومة لا تتسرب إليها الغفلة أو النسيان، وقد أشار يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) قديماً إلى شيء من ذلك حين قال: «إنما كرره لما يحصل فيه من إيقاظ النفوس بذكر قصص الأولين، والاتعاظ بما أصابهم من المثلات، وحل بهم من أنواع العقوبات، فيكون بمنزلة قرع العصا لئلا تستولي عليهم الغفلة، ويغلب عليهم الذهول والنسيان»(٣٣).

فأهداف القصة في القرآن تتعلق أساساً بتوفير الحاجات السيكولوجية، والمبررات النفسية التي تساعد النفوس على تجاوز ما ألفته من أفكار وأخلاق وقيم اجتماعية، وذلك باستخدام آلة التفكير والتذكر لاستيعاب تلك التجارب الإنسانية الماضية، والاستفادة من السنن الكونية والتاريخية المطردة.

وقد يضاف إلى ذلك كله أهداف أخرى مثل تثبيت قلب الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (سورة هود الآية: ١٢٠)، ومثل مخاطبة أهل الكتاب ومجادلتهم بالحق فيما كتموه من البينات والهدى، ومثل بيان دلائل الإعجاز في القرآن الكريم وقصصه المنوع بما فيه من قوة في الأسلوب، وبراعة في العرض، وبلاغة في المعنى.

(٤) التصوير

ومن طرق العرض البارزة في القرآن الكريم طريقة التصوير، وهي طريقة حدد خصائصها وملامحها الأساسية الأستاذ «سيد قطب» في دراسته آنفة الذكر، وقد حظيت أفكاره بمناقشات نقدية كثيرة، وخلاصة ما توصل إليه في هذه الدراسة أن التصوير الفني في القرآن أداة مفضلة، وقاعدة أساسية في التعبير عن مختلف القضايا، «فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأجن، والحس والخيال، والفكر والوجدان»(٣٤).

وميزة التعبير بالطريقة التصويرية عن غيرها من الطرق الكامنة في إبراز المعاني في صورها الشاخصة المتحركة، ومشاهدها الحية المتخيلة، وعرض الأفكار المجردة، والمعاني المعقولة في قوالب محسوسة قريبة إلى العقل والحس والوجدان، وقد كان هدف القرآن الكريم من استخدام هذه الطريقة توفير شروط الإقناع والإمتاع أمام النفس البشرية، وذلك بالجمع بين الغرض الديني والغرض الأدبي، وبمعنى آخر عرض الحقائق الدينية في قوالب أدبية جميلة تجد فيها العقول والقلوب حاجاتها إلى الإدراك والفهم والتأثر.

إن الأهداف القريبة والبعيدة لأسلوب التصوير في التعبير القرآني تتحدد في عناصر كثيرة أشارت إلى بعضها الدراسات البلاغية القديمة وبخاصة في مباحث الاستعارة، وكشفت عن كثير منها الأبحاث الأسلوبية الحديثة، ويمكن إجمال هذه الأهداف في نقاط ثلاث:

أ – يساهم التصوير في توفير سبل الإقناع العقلي للنفس البشرية، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الهدف في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر الآية: ٢١)، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (العنكبوت الآية: ٤٣)، والأمثال في القرآن هي تلك المعاني المعروضة بطريقة تصويرية، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ (الحج الآية: ٧٣).

ب – يوفر التصوير قدراً كبيراً من المتعة الوجدانية للمتلقي بما يعكس من جمال فني على التعبير، ولذلك حرص القرآن على التأثير في النفوس بالتعبير الأدبي القائم على عناصر القوة في المعنى، والجمال في الصورة، والكمال في طريقة الأداء، وقد وصف القرآن نفسه بالحديث الحسن، أي الذي توفرت فيه جميع عناصر الكمال والجمال في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ (الزمر الآية: ٢٣).

ج – يعرض التصوير المعاني الذهنية، والموضوعات الدينية المجردة في قوالب محسوسة قريبة إلى الذهن والشعور، ولم يتبع القرآن طرق الفلاسفة والمتكلمين في عرضه للموضوعات المختلفة حتى يساعد النفوس البشرية على إدراك تلك المعاني، وفهم تلك الموضوعات على مرور الأجيال والأزمنة.

(٥) المقابلة

ومن طرق العرض التي لها حضور ملحوظ في القرآن الكريم المقابلة، وهي طريقة في التعبير تهدف إلى إقامة تضاد بين الألفاظ والمعاني والصور تحقيقاً لغايات بلاغية وجمالية، وعلى الرغم من أن المقابلة معدودة من المحسنات المعنوية في أغلب المذاهب البلاغية القديمة[٣٥]، وهي معدودة من عناصر التناسق الفني في الصورة الفنية عند بعض الدارسين المحدثين[٣٦] فإن المتأمل في دلالاتها واستخداماتها الكثيرة في القرآن يرى أن لها أغراضاً أبعد من ذلك، فهي طريقة في أداء المعنى لها آثارها وقيمها البعيدة[٣٧].

وقد أشار العلامة «محمد أبو زهرة» إلى بعض أهداف المقابلة في القرآن الكريم فقال: «إن المقابلة بين شيئين أو أمرين أو شخصين تكون ليعرف أيهما المؤثر في عمل معيَّن، وإذا ثبت أن التأثير لواحد منهما كان له فضل التقدم على غيره، وقد كان ذلك النوع من ينابيع الاستدلال كثيراً في القرآن الكريم، لأن المشركين كانوا يعبدون أحجاراً يصنعونها أو مخلوقات لله تعالى خلقها، وكانوا يعتقدون أن لها تأثيرا في الإيجاد، أو في الشر يمنع، أو الخير يجلب، فكانت المقابلة بين الذات العلية وبين ما ابتدعوا من عبادة الأوثان ينبوعا للاستدلال على بطلان ما زعموا[٣٨].

فالمقابلة طريقة في الاستدلال والبرهنة في قضايا العقيدة، – كما يرى أبو زهرة – وهي طريقة تستوعب قضايا فكرية كثيرة يريد القرآن بثها في النفوس، ومن هنا كانت بخصائصها المتميزة من الوسائل المساهمة في عملية الإقناع والتأثير لدى الإنسان المتلقي.

فهي تهدف إلى توجيه القدرات الذهنية للإنسان نحو فهم الحقائق المعروضة وإدراكها في أشكالها المتقابلة المتضادة، وقد قيل قديماً «وبضدها تتميز الأشياء».

هذا من جانب الوظيفة المعنوية الإدراكية، أما من جانب الوظيفة الجمالية التأثيرية فالمقابلة تكسب التعبير جمالاً، والمعاني حسناً، وقد قيل أيضاً: «والضد يظهر حسنه الضد»، وهذا الجمال في التعبير يساهم في توصيل المعاني إلى قلوب الناس ومشاعرهم، وهو أمر يعرفه أهل الأدب والبلاغة والبيان.

الخصائص الأسلوبية لطرق العرض في القرآن

(١) السرد المباشر:

إن طريقة السرد المباشر هي من طرق الأداء التي لها حضور واضح في القرآن الكريم، وهي تقوم على عرض الحقائق والقضايا الخالدة، وسَوْق الموضوعات والأغراض الدينية المختلفة سوقاً مباشراً تطمئن إليه العقول، وتتفتح له القلوب بما فيها من شواهد على الحق والخير والجمال.

إن بلاغة الخطاب تقتضي – كما صرح بذلك البلاغيون القدماء – أن يكون الكلام بحسب أحوال المخاطبين؛ لأن الفائدة من الكلام «إنما هي لإثبات الغرض المقصود في نفس السامع، وتمكنه في نفسه على جهة التخيل والتصور حتى يكاد ينظر إليه عياناً»(٣٩).

ولتحقيق هذا التوصيل لا بد من مراعاة مقامات النفوس المختلفة، واختيار الأساليب التي تناسبها، وتتوزع الأساليب حسب مقتضيات الأحوال إلى إنشائية وخبرية، وتساهم جميعها في دقة المعنى، ورونق اللفظ، ولطافة النظم، وبلاغة التعبير، وحاجة المخاطب إلى الخطاب الإنشائي هي كحاجته إلى الخطاب الخبري، ولكن عرض الكلام في صورته الخبرية هو لتحقيق غرض من الأغراض يناسب النفوس خالية الأذهان من الفائدة المعنوية، ويناسب أيضاً تلك التي تعرف الفائدة ولكنها تردها بموانع الشك والإنكار والتكذيب.

ويكون عرض الخبر في القرآن الكريم بطرق مختلفة، تأتي على رأسها طريقة السرد المباشر، وبخاصة إذا علمنا أن القرآن الكريم اشتمل على حقائق كثيرة غائبة عن الأذهان، كتلك التي تتعلق بتصحيح العقائد عن الله والكون والوجود الإنساني، وتلك التي ترمي إلى بناء شبكة العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وتلك التي تهدف إلى إقامة التشريعات والقوانين الإلهية، وغيرها من الحقائق الأخرى التي قد يكون بعضها معروفاً عند المخاطبين، ولكنها بعد النسيان أو التناسي أو الغفلة تكون في حكم الغائب عن الذهن، يقول تعالى مخبراً بالسرد المباشر عن قضية الموت، وهي حقيقة معروفة لا

تنكرها العقول السليمة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ (سورة المؤمنون الآية: ١٥)، فقد أكد الموت بتأكيدين لتنزيل المخاطبين لتماديهم في الغفلة والنسيان تنزيل من ينكر الموت، وقال الزمخشري: «بولغ في تأكيد الموت تنبيهاً للإنسان على أن يكون الموت نصب عينيه، ولا يغفل عن ترقبه فإن مآله إليه»(٤٠).

وقبل الحديث عن أبرز الخصائص الأسلوبية لهذه الطريقة، لا بد من معرفة حجمها ومساحتها في القرآن، لأن ذلك قد يفيد في التأكد من تلك الإحصاءات التي قام بها «سيد قطب» في كتابه «التصوير الفني في القرآن»، التي أثبتت أن الطريقة السردية تأخذ من القرآن مساحة الربع تقريباً، وهي تظهر بجلاء ووضوح في أغراض التشريع، ومثل هذه المعرفة قد تفيدنا أيضاً في دراسة الخصائص الأسلوبية التي يكون للإحصاء ونتائجه دور في تقويم هذه الطريقة في شكلها النهائي.

كشف الإحصاء الجديد للقرآن الكريم أن طريقة السرد المباشر تظهر في ألفين وإحدى وخمسين آية (٢٠٥١) من الحجم الكلي لآي القرآن، أي بنسبة تقدر بثلاث وثلاثين في المائة (٣٣٪)، وهي نسبة تمثل نصف القرآن تقريباً.

يأتي اعتماد القرآن الكريم على طريقة السرد المباشر في عرض جل حقائقه وموضوعاته الدينية، ولا يمكن في هذا المقام حصر هذه الموضوعات جميعها، ونكتفي بذكر القضايا الكبرى التي يكثر فيها العرض بهذه الطريقة، وهي تتمحور في حقائق العقيدة الثلاث: الوحدانية، والرسالة، واليوم الآخر، وقضايا التشريع المختلفة التي تأخذ حيزاً لا بأس به في القرآن الكريم.

إن الحديث الكثير والمنوع عن أصول العقيدة الثلاثة وبخاصة في القرآن المكي كان تمهيداً ضرورياً في مجال الدعوة لسرد القوانين والتشريعات الإلهية التي تمس جوهر حركة المسلم في حياته بمستوياتها الحيوية المختلفة سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، وفضلاً عن ذلك تعد هذه الأصول الثلاثة من القضايا الكبرى التي تهم الإنسان في كل زمان ومكان.

وكان التصور السائد عند العرب زمن الجاهلية يجسد نوعاً من الخلل والاضطراب وعدم الصفاء في الرؤية لديهم، فغياب الحقائق الخالدة عن أذهانهم جعلهم يبنون تصوراتهم على مبدأ الإشراك بالله وتعدد الآلهة، فضلاً عن ذلك

التناقض الكبير بين مفهوم الألوهية ومفهوم الربوبية، وحتى أولئك الذين آمنوا بمبدأ التوحيد ممن سموا بالأحناف – على قلتهم – لم تكن التصورات العقدية بأبعادها المختلفة واضحة لديهم، وقد خاطب القرآن الكريم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقد كان واحداً منهم بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ (الضحى الآية: ٧) أي مع أنه مؤمن بالوحدانية لم تتضح الرؤية لديه مثلما اتضحت بعد نزول الوحي عليه.

وقضايا العقيدة الثلاث هي أيضاً من القضايا المعروضة في كل الأمكنة وعلى تعاقب الأجيال والأزمنة، ومهما تعددت الأشكال والألوان في التصورات والعقائد فسيبقى القرآن هو المرجع الحامل دوماً للحق الخالد، والتصور الصحيح، ولأهمية ذلك كرر القرآن عرض هذه القضايا بأساليب متنوعة، وبطرق مختلفة، وقد كان لطريقة السرد المباشر النصيب الأوفر في هذه الطرق والأساليب للمناسبة الدلالية لمقتضيات أحوال المخاطبين التي ذكرنا بعضاً منها، وسنعرض بعض النماذج من القرآن توضح الدور الدلالي والجمالي لهذه الطريقة التعبيرية.

(١) في سياق الحديث عن الوجود الإنساني، وأصناف البشر من مؤمنين وكافرين ومنافقين يأتي الخطاب الإلهي بطريقة السرد المباشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾ (البقرة الآية: ٢١–٢٤).

لقد اشتملت هذه الآيات – مع إيجازها – على تقرير أصول العقيدة الثلاثة، الوحدانية، والرسالة، واليوم الآخر، وقد عرضت بطريقة السرد المباشر لما تضمنته من حقائق خالدة ينكرها أو يغفل عنها المخاطبون، كما أنها اشتملت على عناصر الكمال والجمال جميعها في التعبير ذكر بعضاً منها «يحيى بن حمزة العلوي» فقال: «إن الله تعالى لما أراد أن يبين أنه مستحق للعبادة من جهة الخلق، وأنه تعالى خالق

لجميع أنواع العوالم كلها من الجن والإنس، والأجرام السماوية والمخلوقات الأرضية، وأنه تعالى منزل للماء، وأنه مخرج به الثمرات، وأنه هو الذي اختار محمداً صلى الله عليه للنبوة، وأنه أيده بمعجزة القرآن، وأنه تحدى العرب بسورة منه، وأنه أفحمهم به بعد تحديه لهم، فدل ذلك على عجزهم، فإذا عجزوا عن ذلك لزمهم القول بصدق ما جاء به من التصديق بالأمور الأخروية من الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وجميع أحكام الآخرة كلها... فلا جرم أن عبر عن هذه المقاصد العزيمة ورتبها على سياق هذه الآية المنتظمة دالة على البلاغة في مقاصدها ومعانيها، ومحرزة للفصاحة في صيغها ومبانيها»(٤١).

وفضلاً عن ذلك تتراءى القيم الجمالية في هذه الآيات في رقة الكلام، وسلاسة الألفاظ مع جزالتها، وحسن التأليف، وجودة الرصف والانتظام، وحسن التدرج والملاطفة في الخطاب، إضافة إلى الجمال الذي تضيفه المحسنات اللفظية والمعنوية كالطباق والتسجيع وحسن الالتفات(٤٢).

(٢) ومن الآيات التي تسوق القضايا التشريعية سردا وتلقينا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (البقرة الآية: ١٧٨، ١٧٩).

إن الأسلوب المناسب في عرض قضايا التشريع هو السرد والتلقين، ولا يفضل القرآن عليه في العادة أي أسلوب آخر، وذلك للمناسبة الطبيعية التي يقتضيها التعبير بين التشريع وأسلوب السرد المباشر، فضلاً عن استجابة النفوس المؤمنة لتلقي التشريعات الجديدة سرداً تلبية للحاجات الحياتية الملحة لديهم.

وعن بلاغة هذا النموذج التشريعي الذي سقناه يقول الزمخشري (٥٣٨هـ) بعدما كشف عن بعض القيم المعنوية في الآيات: «قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ كلام فصيح لما فيه من الغرابة، وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة، وقد جعل مكاناً وظرفاً للحياة، ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة،

لأن المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة، وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة... فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أيُّ حياةٍ»(٤٣).

وقد بين الرازي (٦٠٦هـ) كثيراً من القيم الفكرية والبيانية في هذه الآية، وقارن بينها وبين قول العرب: (القتل أنفى للتقل)(٤٤).

وفيما يلي دراسة تقويمية لبعض الخصائص الأسلوبية لطريقة السرد المباشر يأتي التركيز فيها على الربط بين الظاهرة المدروسة والدور الدلالي الذي تقوم به؛ إذ من أهداف الدرس الأسلوبي رصد التأثير الذي تتركه الظاهرة على السامعين من زاوية الدلالة والبعد الجمالي في عملية توصيل الخطاب القرآني للمخاطبين.

(أ) يأتي الخطاب بالسرد المباشر ليعرض الحقائق في طبيعتها التي تناسب البداهة والحس، وتلائم الشعور والإدراك، ولا يتبع القرآن تلك الطرق الوعرة التي يفضلها المناطقة والفلاسفة في عرض قضاياهم المعقدة المرهقة للعقول، المناسبة للخواص من الناس، بل تجده يسرد قضاياه البديهية بسهولة ويسر ليجد فيها المتلقي – أيا كان مستواه الإدراكي – حاجته من الرضا والإقناع.

كان التوحيد المشكلة الكبرى التي واجهها القرآن مع طائفة من البشر ينكرون التوحيد إنكاراً شديداً، فلننظر كيف خاطبهم، وعرض عليهم هذه القضية الكبيرة، نقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ (يونس الآية: ٣)، ونقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ

صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ (الرعد الآية: ٢-٤).

إن هذه الآيات التي تتكرر معانيها كثيراً في القرآن مع التنوع في طرق العرض تساق عادة لتقرير قضية التوحيد التي ينكرها المخاطبون، ويفضل القرآن عرض الحقائق الخالدة حول هذه القضية بسهولة ويسر، وبداهة وبساطة، لتدخل إلى النفوس من منافذها المختلفة، فتخاطب الحس والشعور، والذهن والعقل، وتلامس البداهة والفطرة المغروسة في أعماق النفوس، فهذه الحقيقة مدركة بتلك المشاهد المرئية في الكون، مثل السماوات والأرض، والجبال والأنهار، والليل والنهار، والماء والثمار، وغيرها من المخلوقات التي الف البصر مشاهدتها، وواظب الحس على معرفتها، وتعود الذهن على إدراكها، لكونها حقائق بديهية دالة على الوحدانية، ولا تحتاج إلى جدل عقلي كبير يبين معالمها، ويكشف أسرارها.

وطريقة القرآن في عرض هذه الآيات هي السرد المباشر، التي استفادت من طريقة التصوير في إضفاء الجمال على التعبير بتلك المشاهد المتخيلة في السياق، وهذا يتلاءم تماماً مع التعبير القرآني القائم على مبدأ التنويع في طرق العرض في آياته وسوره، حتى في الآية الواحدة التي قد تجتمع في أدائها طرق متعددة، ولكن دائماً هناك طريقة بارزة مقصودة في التعبير تكون هي الطريقة الأساسية التي يفضلها القرآن في ذلك الموطن، وتلك السورة.

(ب) من الخصائص المميزة لطريقة السرد المباشر سوق المعاني والأغراض مشبعة بالأدلة، فياضة بالبراهين، قريبة التناول إلى العقول والقلوب، سهلة الإدراك على الخاصة والعامة من الناس، بعيدة عن التكلف والتعقيد، تصل إلى النفوس البشرية على اختلاف استعداداتها وإمكاناتها الفكرية والثقافية، وهي في ذلك تباين مباينة أكيدة أدلة الفلاسفة والمتكلمين، وقد قارن «أبو حامد الغزالي» (٥٠٥هـ) بين أدلة القرآن وأدلة غيره من المناطقة والمتكلمين فقال: «أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، وأدلة المتكلمين والفلاسفة المعتمدة على البرهان وأشكاله، والمنطق وقيوده، مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس فقط، بل إن أدلة القرآن كالماء ينتفع به الصبي الرضيع، والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً»[٤٥].

ومن الأمثلة على ذلك ما يساق في إثبات الرسالة، حيث كان جدال الخصوم عنيفا في هذا الموضوع، فقد حاولوا إبطال الرسالة بكل ما لديهم من أدلة وحجج، قال تعالى على لسانهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾ (الفرقان الآية: ٤-٦)، وحين يسرد القرآن ردوده عليهم يختار الحقائق الواضحة التي لا تحتاج إلى تلك الأدلة العميقة، بل يسوقها بكل بداهة ويسر، ويخاطب بها العقل والقلب، ويؤثر فيهما تأثيراً متلازماً[٤٦]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ (الزمر الآية: ٢٣)، وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ (الإسراء الآية: ٩)، وقال تعالى: أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ۝٤٣ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٤٤﴾ (فصلت الآية: ٤١-٤٤).

إن هذه الآيات تقرر حقائق واضحة عن الرسالة التي ينكرها خصوم القرآن أشد الإنكار، ويسرد القرآن أدلته المناسبة للفطرة والبداهة، ويخاطب قوة الذهن والإدراك مثلما يخاطب قوة العاطفة والشعور، ليوفر للنفوس كلها حاجاتها من الإمتاع والإقناع، ويلجأ أيضاً إلى الاستفادة من طريقة الحوار – على عادته في الانتقال من أسلوب في العرض إلى آخر – ليعطي العقول مجالاً أوسع لاستخدام القدرات الإدراكية، بالتفكير في أمر القرآن الذي ينكرونه ظلماً وزوراً؛ لأنهم يعلمون

بالبداهة أن هذا الكلام الذي هو من جنس كلامهم في أعلى مستويات الفصاحة والبلاغة، ومع ذلك تجدهم يبحثون عبثاً عن الأدلة والبراهين التي قد تبطل حجته، وتسقط هيبته وتفوقه.

إن بلاغة هذه الآيات كما يظهر هي من جهة طريقة سرد الحقائق والأدلة بكل بساطة ويسر، ووضوح وجلاء، ولا يفضل القرآن الدخول في مناقشات جدلية عميقة مع خصومه إذا كان الأمر قريباً إلى فطرتهم وبداهتهم، ويكتفي بسرد الحقائق الجلية، ويخاطب رسوله بالرد عليهم بهذه الطريقة السهلة البعيدة عن التعقيد والتكلف والطرق الجدلية العميقة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ (الفرقان الآية: ٦).

(ج) يأتي الجمال في طريقة السرد في جمال الفكرة أولاً، إذ للفكرة جمال أيضاً يعرفه أرباب البلاغةو وجهابذة البيان، ثم ثانياً في براعة الصياغة ورونق النظم، وللبلاغيين القدماء نظرات ووقفات صائبة في الكشف عن جمال العبارة القرآنية في صياغتها وتركيبها ونظمها، وعلى الرغم من أن اهتمامهم كان منصباً على البحث في الجزئيات، فإن ذلك قد يساعدنا الآن في تكوين نظرة كلية لعناصر الجمال في القرآن، هذا الجمال الذي يتشكل بداية في المعاني والأفكار، ثم في طرق العرض الكبرى التي تضم تحتها طرقاً وأساليب كثيرة تساهم كلها في عرض المعاني في قوالب جميلة، وأشكال بديعة.

وتختلف طريقة السرد في القرآن عن غيرها من طرق السرد عند البشر في تعبيراتهم وفنونهم الكلامية، فالسرد في القرآن ليس سرداً تجريدياً، همه توصيل المعنى إلى العقول فحسب دون الاهتمام بالجوانب البلاغية التي تهب التعبير جمالاً ورونقاً تحسه وتستلطفه المشاعر، إذ من الخصائص الأسلوبية الكبرى في القرآن الموازنة الدائمة في خطاب العقل والعاطفة، – كما ذُكر ذلك فيما سبق – وتتكون عناصر الجمال في طريقة السرد في حسن اختيار الكلمات، وبراعة النظام في العبارات، وإيقاع الموسيقى والجرس في الفواصل والمفردات، كما يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ (البقرة الآية: ١-٥).

فهذا النظم البديع والتركيب المتناسق والمعاني الدقيقة والألفاظ السلسة والإيقاع الموسيقي المتجسد في تلاؤم الحروف وتقاربها وانسجام الفواصل وتوافقها تضفي كلها رونقاً وجمالاً على التعبير، فضلاً عن الأسرار البلاغية الأخرى في النظم ودقة المعنى ذكر بعضاً منها «الزمخشري» في تفسيره حيث قال: «ثم أخبر عنه – أي القرآن – بأنه هدى للمتقين، فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله، وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم لم تخل كل واحدة من الأربع في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة، ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو: «هدى» موضع الوصف الذي هو «هاد» وإيراده منكراً والإيجاز في ذكر المتقين»[٤٧].

(د) ومن الخصائص الأسلوبية لطريقة السرد كثرة ورودها في مواطن الوعظ والنصح، والنصائح والمواعظ كثيرة في القرآن، بل القرآن الكريم كله موعظة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس الآية: ٥٧).

وحين يزخر القرآن بالموعظ والنصائح فلتحقيق غايات تربوية ودينية بالدرجة الأولى؛ وذلك لما للنصح والإرشاد من تأثير كبير في نفوس المخاطبين[٤٨]، ومثل هذه الموضوعات الوعظية تقتضي أسلوباً سردياً في كثير من المواقف والحالات، ويكون هذا السرد منسجماً مع المعاني الروحية التي يسعى القرآن إلى غرسها في النفوس كما في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا

رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ (الإسراء الآية: ٢٢-٢٧).

ويبقى أن نشير إلى أن طريقة السرد المباشر هي من طرق العرض البارزة في القرآن كما تشير إلى ذلك الدراسة الإحصائية، وهي أيضاً طريقة مهمة في أداء المعنى وبخاصة في قضايا التشريع والأحكام.

(٢) الحوار:

إن الحوار في القرآن الكريم ظاهرة أسلوبية، وطريقة في العرض تدرك بالذوق والملاحظة، وقد أشار إلى ذلك الدارسون منهم «محمد حسين فضل الله»[٤٩]، ويأتي الحوار لأداء أهداف كثيرة أبرزها الهدف النفسي التربوي، وذلك بتوجيه أسئلة إلى المخاطب، تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى معرفة الحقيقةو كما هو معروف في الطرق الحديثة في التربية والتعلم[٥٠].

والحوار في القرآن وسيلة من وسائل الإقناع بالحجة والبرهان في تقرير الحق ودفع الباطل[٥١]، وبخاصة حين يكون مع الخصوم والمجادلين كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت الآية: ٤٦)، وقد يأتي في صور أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ (النحل الآية: ١٢٥)، ومنه ما يكون مع المخاطبين من غير خصومة أو عداوة، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ (المجادلة الآية: ١)، فسمى الخطاب الذي كان بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخولة بنت ثعلبة في حادثة الظهار المشهورة حواراً، ومنه ما يكون في القصص وهو كثير.

ولعل اهتمام القرآن بالحوار يعود اساساً إلى ما يمتاز به هذا الأسلوب من خصائص بلاغية، فالحوار مناسب للنفس البشرية التي فطرت في أصل جبلتها على غرائز الجدل والسؤال وحب الاستطلاع، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿وَكَانَ

﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف الآية: ٥٤)، فضلاً عن رغبة النفس الدائمة إلى معرفة المجهول، والبحث عن الإجابات المقنعة حول الأسئلة المتعلقة بقضايا الكون والحياة والوجود الإنساني.

وقبل الحديث عن مواضع الحوار وخصائصه الأسلوبية نورد بياناً إحصائياً لحجم الحوار في القرآن، فقد كشفت الدراسة الإحصائية أن الحوار يظهر في سبعمائة وخمس وثلاثين آية (٧٣٥)، وهذا العدد لا يشمل الحوار في القصص، أي بنسبة تقدر باثنتي عشرة في المائة (١٢٪) من حجم القرآن.

إن غنى الحوار وتنوعه في القرآن جعل منه قاعدة أساسية في عرض المعاني وأداء الاغراض المختلفة، وبما أن القرآن هو كتاب عقيدة وتشريع فإن الموضوعات التي كثر فيها الحوار كانت تلك المتعلقة بقضايا العقيدة الثلاث، الوحدانية، والرسالة، والبعث والجزاء، وقضايا التشريع، وفي قصص الأنبياء والصالحين، وفي سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – ومواقفه مع الكافرين والمنافقين، وسنعرض بعضاً من هذا الحوار ليكون تمهيداً لدراسة الخصائص الأسلوبية.

١ – الحوار في إثبات الوحدانية:

لاحظ بعض الدارسين أن النصوص القرآنية لا تهتم بقضية وجود الله إلا نادراً؛ لأن الإيمان بوجود الله ضرورة حتمية وبديهية لا تقبل الفطر الإنسانية الأخذ والرد فيها[٥٢]، والاهتمام كله منصب على إثبات ألوهية الله تعالى واستحقاقه للعبادة، ولذلك حاور القرآن خصومه وجادلهم في هذه القضية بأساليب متنوعة نذكر منها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى

ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

(النمل الآية: ٥٩-٦٤).

تهدف هذه الآيات إلى إثبات قضية الألوهية لله وحده، وهي تفضل في هذا المقام الحوار طريقة في العرض، وهو حوار يعتمد على عرض مجموعة من التساؤلات أمام المخاطبين بأسلوب الاستفهام الإنكاري؛ لحث المنكرين منهم لقضية الألوهية على استخدام قدراتهم العقلية للتفكير الجاد في الفرق الكبير بين الإله الذي لا ينكرون وجوده، ولكن ينكرون ألوهيته وأحقيته للعبادة، وبين الآلهة التي يعبدونها من دونه، ولا تملك شيئاً من ملكوت الله، فهو الخالق لهذه المخلوقات العظيمة من سماوات وأرض، وماء وزرع ونبات، وجبال وأنهار، وفواكه وثمار، فضلاً عن عظمته المطلقة على الكون، وهيمنته على الخلق، فمن له هذه العظمة والخلق هو المستحق الوحيد للعبادة والأمر.

ومثل هذا الحوار كثير في القرآن، وهو حوار يخاطب العقول ويحركها، ويلمس المشاعر ويهزها، ويصل إلى قرارة النفوس، ويدخل إليها من كل المنافذ، كما في قوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الطور الآية: ٣٥-٤٣).

تأتي هذه الآيات في سياق الرد على منكري الوحدانية وخصائصها الكبرى في مكة، وقد سيقت بطريقة الحوار الهادئ البعيد عن الجدل العقيم، والغاية من هذه الطريقة في العرض إلزام هؤلاء بالحجة، وإفحامهم بالبرهان، والأخذ بأيديهم إلى الاعتراف بحقيقة الوحدانية وصفاتها المتكاملة.

ويلاحظ المتأمل في القرآن أن الحوار يكثر في الآيات المكية بالمقارنة مع غيرها من الآيات المدنية؛ وتعليل هذه الظاهرة هو في كون الحوار أكثر مناسبة لمخاطبة الوجدان، حيث إن القرآن المكي يشتمل على أصول الدين، وينفر من عبادة الأصنام، ويحبب إلى الجنة ويشوق إليها، ويهدد بالنار ويخوف بها، وهو لذلك يزخر بالأساليب الثائرة المؤثرة، والحوار هو أحد هذه الأساليب القادرة على إثارة المشاعر(٥٣)، وقد يكون السبب راجعاً أيضاً إلى مراعاة القرآن للمواقف الجديدة في مكة، فقد لاقى القرآن من معارضيه إنكاراً شديداً بعد أن طرق أسماعهم لأول مرة، فاتَّبع معهم طريقة الحوار ليرد على استفهاماتهم وأدلتهم، ويقيم الحجة عليهم، وهذه الطريقة فعالة في ميدان التربية والتوجيه.

٢ – الحوار في إثبات الرسالة:

لقد كان إثبات الرسالة من الموضوعات التي عنى بها القرآن الكريم كثيراً في دعوته، فقد أورد نماذج متنوعة من الجدال الذي أثير حول مصدرية الرسالة، وكانت طريقة عرضه المفضلة في أغلب الأحيان هي الحوار، ففي كثير من المواطن تساق الحقائق حول الرسالة في أسلوب حواري هادئ يبعث على التفكير، ويحث على الاستدلال، ويدعو إلى استخدام القدرات المعطلة في النفوس والضمائر، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (النمل الآية: ٦٤).

ومثلما كان الحوار حول الرسالات السابقة قوياً في القصص القرآني، كان الحوار حول الرسالة المحمدية قوياً في كثير من الآيات والسور، وكثيراً ما يحرص القرآن على عرض نماذج من حوارات خصومه، ويورد أدلتهم، ويسوق اعتراضاتهم، ثم يكون الرد بالحوار المناسب للمواقف، الفياض بالأدلة، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾ (الأحقاف الآية: ٨-١٢).

لقد سيقت هذه الآيات بطريقة الحوار في مقام الاستدلال على الرسالة المحمدية، ويظهر من طريقة العرض هذه أن القرآن فضل عرض القضية بأسلوب الأخذ والرد، وذلك بإدخال الخصوم في محاورة عقلية هادئة لمناقشة الرسالة التي ينكرون مصدريتها الإلهية، ويدَّعون أنها افتراء وكذب من الرسول المبلغ، وأنها لو كانت خيراً لكانوا هم أسبق الناس إليها، ويحاكمهم القرآن بالعقل والمنطق بعرض مجموعة من الأسئلة والحقائق عليهم لكي يعدوا النظر في أحكامهم السابقة، فالرسالة المحمدية ليست أول رسالة إلهية في الأرض، والرسول المبلغ ليس بدعاً من الرسل، ولو وقع الكذب والافتراء فالله شاهد على ذلك، وكيف يكون حال المنكرين إذا كانت الرسالة من اللهو وكان الرسول صادقاً فيما يقول، كل هذه التساؤلات والأفكار المعروضة بالحوار هدفها تحريك العقول، وتنشيط المدارك للاقتناع بالبراهين الواضحة، والأدلة الساطعة على أن الرسالة المحمدية حقيقة ثابتة بالحجة والبرهان.

٣ - الحوار في إثبات البعث والجزاء:

إن قضية البعث والجزاء من القضايا المهمة التي تشغل بال الإنسانية منذ القِدَم، وقد تصارعت فيها الأفكار بين السلب والإيجاب، وكانت البشرية بما هو مرتكز في فطرتها من حب البقاء تقاوم دوماً فكرة العدمية، لأنها تحس بالحسرة والمرارة عندما تقل عوامل الأمل باستمرار هذه الحياة الدنيا، فهي ترى الموت يسلب الحياة من الأجساد، ويقضي على الآمال في البقاء والخلود[٥٤]، ولكن فكرة الأديان السماوية التي تقول بوجود حياة أخرى حتمية فتحت الآمال الواسعة أمام البشرية المؤمنة للعيش في حياة أخرى أكثر راحة وسعادة وطمأنينة.

ولما كان الإيمان بحياة أخرى بعد الموت من القضايا الأساسية في العقيدة الإسلامية، فقد عرض القرآن حقائقه وحججه وأدلته حول هذا الموضوع في كثير من

السور والآيات، وقد كرر الحديث عنها في أساليب شتى، وعرضها في طرق متنوعة، وحازت طريقة الحوار على نصيب كبير منها، لمناسبة أسلوبها لمواطن الاستدلال والبرهنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾﴾ (الإسراء الآية: ٤٩-٥٢).

يهدف الحوار في هذه الآيات الجليلة إلى إثبات قضية البعث والجزاء، وقد ضم هذا الحوار أقوال المنكرين لليوم الآخر، ثم كانت الردود في شكل مناقشة فكرية هادفة، كل طرف يعرض أدلته وحججه لإفحام الطرف الآخر، وقد حرص القرآن على اتباع المنطق والمحاكمة العقلية في رده على خصومه، فكان يقارع الحجة بالحجة، ويسوق البرهان تلو ابرهان، ويستخدم أسلوب الاستفهام في مرات متتالية حتى يعطي المخاطبين فرصة التفكير، ومحاولة الإجابة عن التساؤلات، وهذا قد يقودهم إلى الاقتناع بحتمية البعث والجزاء إن هم استخدموا جميع قدرات الإدراك والتفكير لديهم.

ومن الصور الرائعة للحوار حول قضية البعث والجزاء قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (يس الآية: ٧٨-٨٢).

فقد جاءت طريقة العرض الحوارية لتناقش موضوع البعث والجزاء مع الإنسان المنكر له، وذلك باتباع طرق الاستدلال والبرهنة ليكون الاقتناع عن حجة وبينة، فقد رد القرآن على شبهة المنكرين التي تتردد في الأزمنة والأمكنة جميعها بأنه

لا حياة بعد موت الإنسان، لأنه يتحول إلى عظام هشة بالية لا يمكن أن تحيا من جديد، واستدل بالدليل المنطقي المسمى بقياس المبدأ على المعاد، أي إن الذي خلق الإنسان منذ البداية ومن العدم قادر على بعثه من جديد ليعيش حياة أخرى بعد جزائه على عمله الدنيوي.

ويورد القرآن صوراً مختلفة من هذا الحوار حول البعث والجزاء وفي أشكال متنوعة تشهد للأسلوب القرآني بالروعة والبراعة في التنويع الفني في أساليب العرض، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ (البقرة الآية: ٢٥٩).

فقد امتزجت طريقة الحوار مع طريقة القصص لتقرير فكرة اليوم الآخر وإمكان حصوله بسبب قدرة الله العظيمة على الخلق والإحياء، وهيمنته المطلقة على الكون ومصير الإنسان.

٤ – الحوار في القصص:

إن عنصر الحوار من العناصر قوية الحضور في القصة القرآنية، فتأتي القصة لتروي سلسلة من الأحداث في حلقات التاريخ الإنساني منذ آدم عليه السلام إلى زمن البعثة المحمدية، ويأتي الحوار في هذا القصص حياً مليئاً بالمفاجآت، عامراً بالعظات، كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۗ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ

فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (المائدة الآية: ٢٧-٣١).

والحوار في القصة عنصر فني هدفه تشويق القارئ وإمتاعه، وذلك لكونه أحد العناصر الضرورية في نجاح القصة وتوصيلها إلى المخاطبين متكاملة الأجزاء، ويلاحظ ذلك في الحوار مع اليهود والنصارى والاحتجاج عليهم بأسلوب القصص كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (المائدة الآية: ١١٦-١١٨).

ويجيء الحوار لأداء أهداف إقناعية، وهو كثير في قصص الأنبياء كقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ۖ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ (الأنبياء الآية: ٥١-٦٩).

٥ - الحوار في التشريع:

ويساق الحوار أيضاً في موضوعات التشريع التي أثيرت حولها مناقشات جدلية مثل النسخ وتحويل القبلة وأكل الذبائح والتحليل والتحريم، ومن الأمثلة على ذلك ما سيق في الرد على المشركين في مكة بأسلوب السبر والتقسيم، وهو أسلوب جدلي حواري يقوم على حصر الأوصاف للموضوع، ثم يأتي البيان على أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تسوغ قبول الدعوى فيه، فتبطل بذلك دعوى الخصم(٥٥)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ (الأنعام الآية: ١٤٣، ١٤٤).

وهذه دراسة تقويمية لبعض الخصائص الأسلوبية لطريقة الحوار، يأتي التركيز فيها على الدور الدلالي والجمالي لهذه الظاهرة، مع بيان قدراتها الإقناعية

والتأثيرية، إذ من أبرز أهداف الحوار في القرآن توفير الإقناع العقلي عن طريق المناقشة والتحاور بالحجة والبرهان.

أ – يمتاز الحوار في القرآن بالتنوع في أداء المعاني والأغراض، ويظهر ذلك في التعبير عن القضايا والموضوعات المهمة في الدعوة، وهو أيضاً طريقة تصلح في مجال الاستدلال وإقامة الحجة على الناس، ولذلك تناول به القرآن كثيراً من الأدلة حول قضايا الوحدانية والرسالة واليوم الآخر، وفي التشريعات والأمور التي تهم النفس الإنسانية، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في الاستدلال على الوحدانية: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ (المائدة الآية: ٧٦)، وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (يونس الآية: ٣١، ٣٢)، وقال تعالى أيضاً مستدلاً بطريقة الحوار في القصة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۖ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ (إبراهيم الآية: ٩–١١).

فالقرآن يستدل على القضية الواحدة في مواطن شتى منه كما في هذه الآيات، وقد استخدم طريقة الحوار في كل آية بأسلوب مغاير في الآية الأخرى، وذلك لتلوين الخطاب، وتنويع طرق العرض تحقيقاً لغايات الإقناع والإمتاع.

ب – الحوار في القرآن بأسلوبه البياني المعجز، وطرقه الواضحة الميسرة مخالف لطرق المنطق اليوناني المعقدة، وطرق المتكلمين العقيمة، وقد أشار إلى هذه الخاصية الدارسون القدماء والمحدَثون(٥٦)، قد سيق الحوار بأسلوب أدبي واضح واستدل القرآن على أصعب القضايا في العقيدة فاتبع طريق الوضوح، ومنطق البداهة والحكمة، وكان حواره مناسباً لخواص الناس وعامتهم، كما كان جداله بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل الآية: ١٢٥) والقرآن يختار من الأساليب أجملها بياناً، ومن الطرق أقواها تعبيراً، ليعبر عن مختلف القضايا والأغراض سواء في مواطن السرد أو الحوار أو القصص أو تلك المواطن التي يكثر فيها الجدل، ولذلك وصف القرآن نفسه بالحديث الحسن، وبكونه متشابهاً مثاني، أي متنوع الطرق والأساليب، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ (الزمر الآية: ٢٣).

ج – يمتاز الحوار في القرآن بمخاطبة قوى النفسية المختلفة، فهو يثير العاطفة، ويحرك العقل، وينشط الحس، وهذا المزج بين الحاجات العقلية والوجدانية يظهر في جمال التعبير، وتناسق النظم، ودقة الأفكار، وتسلسل المواقف، وقد أشار الدارسون إلى أن هذه الخاصية تنسحب على الآيات والسور القرآنية جميعها، فقيل إن القرآن بأسلوبه يشبع العقل والعاطفة، فهو يأتي بالحقيقة البرهانية الصارمة بما يرضي أولئك الفلاسفة المتعمقين، ومن المتعة الوجدانية بما يرضي أولئك الشعراء المرحين، فكانت الموازنة بين حاجات القلب وحاجات العقل، في المزج بين الحق والجمال، وإعطاء حق العقل من الحكمة والعبرة والبرهان، وحق القلب من التشويق والترقيق، والتعجيب والتهويل، والترغيب والترهيب(٥٧)، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ

ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الأنبياء الآية: ٢١-٢٤).

فهذه الآيات التي تهدف إلى تقرير الوحدانية ونفي الشرك عن الله تسوق الأدلة بالحوار الهادئ المقنع، فهي تثبت الوحدانية لله بدليل التمانع الذي يعرفه المتكلمون وأهل المجادلة، وهو في الأسلوب القرآني سهل الإدراك، قريب التناول حتى عند العامة من الناس، وهذا كله يفي بحاجة العقول، أما حاجة العواطف فظاهرة في الإثارة بأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يثير المشاعر، وفي جمال التعبير ووضوحه الذي يمتع القلوب، ويلمس الأحاسيس.

د - يمتاز الحوار في القرآن بمناسبته لأحوال المخاطبين ومقاماتهم المختلفة، فالحوار مع المشركين يختلف عن الحوار مع المنافقين، والحوار مع أهل الكتاب يختلف عن الحوار مع المشركين والمنافقين، لأن القرآن يراعي الأحوال العلمية والفكرية لدى كل طائفة من هذه الطوائف البشرية المتباينة في تكوينها النفسي والعقدي(٥٨)، فالحوار مع المشركين يمتاز بالإرشاد إلى مواطن الحق، والدلالة إلى مكامن الهداية، وقد يشتمل على التفنيد لبعض الشبه والمزاعم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ (سبأ الآية: ٧-٩).

وأما الحوار مع أهل الكتاب فيمتاز بكثرة الأدلة، ودقة الحجة لأنهم من أهل العلم وغاية القرآن هي إلزامهم بالحجة والبرهان كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ

ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (آل عمران الآية: ٦٥، ٦٦).

وأما الحوار مع المنافقين فيمتاز بالقوة والشدة في الخطاب، والقسوة والتهديد في الرد عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ (البقرة الآية: ١١-١٦).

ويبقى أن نشير إلى أن الحوار طريقة من طرق العرض في القرآن، وقاعدة كبيرة في أداء كثير من القضايا والموضوعات المهمة، وبخاصة تلك التي تحتاج إلى البرهنة والاستدلال، وهو أيضاً من الطرق المفضلة في السرد القصصي.

(٣) القصص:

للقصة سلطان على النفوس، ووقع على الآذان يعرفه الإنسان أينما كان، ففطرة الإنسان مجبولة على حب الأخبار القصصية والولوع بها والتشوق إلى سماعها، رغبة في التأثر والإمتاع، والإثارة والتشويق.

ولمنزلة القصة عند الإنسان وجدنا ذلك الاتساع الكبير لها بين آداب الشعوب المختلفة، وذلك الاهتمام الذي أدى إلى تلوينها بالألوان المؤثرة ولا سيما ما يتصل منها بناحية الدين، فما أكثر ما وجهت الأديان عن طريقها المواعظ في الكتب السماوية

من التوراة إلى الإنجيل إلى القرآن[٥٩]. قال الجاحظ: «لما علم الله تبارك وتعالى أن الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم، ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين، وكتب الأولين، والإخبار عن القرون والجبابرة الماضين، طبع كل قرن من الناس على أخبار من يليه، ووضع القرن الثاني دليلاً يعلم به صدق خبر الأول، لأن كثرة السماع للأخبار العجيبة، والمعاني الغريب مشحذة للأذهان، ومادة للقلوب وسبب للتفكير، وعلة للتنقير عن الأمور»[٦٠].

وقد وردت القصة في القرآن وأخذت حيزاً كبيراً منه، واعتمد عليها في عرض قضاياه وأغراضه المختلفة التي تشمل موضوعات الدعوة جميعها كإثبات الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء وبيان السنن الكونية، وغير ذلك من القضايا المهمة.

وتحدث القرآن عن القصة وبيَّن بعض أهدافها، فهي عبرة لمن يعتبر، ووسيلة لمن يتدبر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ (يوسف الآية: ١١١)، وقال أيضاً: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف الآية: ١٧٦).

والقصة وسيلة لعرض تعاليم الإسلام، وإثبات الوحي الإلهي، وتقرير الأصل المشترك بين الأديان السماوية جميعها، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ (يوسف الآية: ٣).

والقصة وسيلة لتثبيت صاحب الرسالة القرآنية، ومده بالحوافز المعنوية والروحية؛ كي يواصل طريق الدعوة الشاق قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود الآية: ١٢٠).

وحجم القصة في القرآن حسب الدراسة الإحصائية يبلغ ربع القرآن تقريباً، حيث ظهرت القصة في ألف وخمسمائة وتسع وتسعين آية (١٥٩٩)، أي بنسبة ست وعشرين في المائة (٢٦٪).

إن القصص في القرآن طريقة في العرض، ووسيلة في الإقناع، وهو أحد

الوسائل الضرورية التي تتطلبها التربية والتوجيه، وتقتضيها طبيعة النفوس مؤمنة كانت أو كافرة، ولذلك اتبع القرآن طريقة التنويع في سرد القصة، وقد سماها بعض الدارسين من القدماء والمحدثين تكراراً[٦١]، وتتمثل هذه الظاهرة في عرض القصة الواحدة في أكثر من موضع من القرآن، كقصة آدم وإبليس، وقصة نوح عليه السلام، وقصة موسى عليه السلام كل ذلك لأداء أهداف بلاغية ومعنوية تتعلق بالإعجاز البياني، فعرض القصة الواحدة بأساليب مختلفة دون أن تتأخر دلالتها، ودون أن يضعف أسلوب عرضها من الأمر الصعب الذي يعجز عنه البلغاء، قال الباقلاني (٤٠٣هـ): «إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتبين فيه البلاغة»[٦٢].

وقد لاحظ دارسو الأسلوب القرآني عند التتبع والاستقراء أنه لا تكرار في القصص كما يفهم من لفظ التكرار وإنما تعاد القصة في السور المختلفة بأسلوب جديد لتفيد غرضاً معيناً يتلاءم مع الإطار العام للسورة. ولذلك كان من الأصلح أن تسمى هذه الظاهرة التنويع وليس التكرار.

وبين الدارسون بعض الفوائد البلاغية والأسلوبية لظاهرة التنويع القصصي نذكر منها:[٦٣]

١ – إن إبراز المعنى الواحد في فنون كثيرة، وطرق متنوعة لا يخفى على البلغاء ما فيه من البلاغة والبيان.

٢ – إن المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة في مواطن شتى، فيجد المتلقي – لما فيها من التغيير – ميلاً إلى سماعها، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ مستأنفة.

٣ – ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – يعجبون من اتساع الأمر في تنوع هذه القصص وتكرارها والأنباء مع تغاير أنواع النظم، وبيان وجوه التأليف.

إن كل ما ورد في القرآن من قصص هو من الحقائق الثابتة، ولم يكن للخيال أو

الوهم والمبالغة مدخل فيه، وهذا ما عليه الدارسون المنصفون(٦٤)، وقد رأى محمد خلف الله رأياً آخر، فيه غرابة وقصور في النظر، حيث قال إن في القرآن أساطير(٦٥)، وهو رأي شاذ مخالف للواقع التاريخي للقرآن، لأن الأسطورة خرافة يخترعها خيال الإنسان لتفسير العلاقة التي تربطه بالوجود، أما القرآن فلا يحيد عن الحق والصدق، لأنه كتاب ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (فصلت الآية: ٤٢).

وينقسم القصص إلى قصص تاريخي وهو القائم على الصدق الواقعي، وإلى قصص تمثيلي وهو القائم على الصدق الموضوعي، وقد تكون القصة التاريخية تمثيلية سيقت مساق المثل كقصة أصحاب القرية(٦٦).

أما القصص التاريخي فكثير ومتنوع في القرآن، ولكنه «غير متسلسل الحلقات في السرد، لأن التاريخ لم يقص لذاته، ولكن لاستخلاص العبرة منه، والتفكر في العلاقات السببية بين مقدمات الأحداث ونتائجها وفق سنن إلٰهية»(٦٧)، وقد عرض القرآن بعض القصص بإسهاب وتطويل كقصة يوسف عليه السلام وقصة موسى عليه السلام، وعرض بعضاً منه في إيجاز وإجمال حسب السورة وموضوعاتها المتناسقة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ (ص الآية: ٤١، ٤٤).

وأما القصص التمثيلي فقد استعمله القرآن لغرس القيم الدينية وإيقاظ الوجدان للإيمان بها، وهو مؤثر بصدقه الموضوعي والفني(٦٨)، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا

مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ (الكهف الآية: ٣٢-٣٨) إلى آخر القصة التي تقرر حقيقة الصراع بين الحق والباطل في الأرض في مثل بليغ مؤثر.

وقد تعرض القصة التاريخية بأسلوب التمثيل كقصة أصحاب القرية التي يذكر المفسرون أنها حدثت بالفعل[٦٩] قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ (يس الآية: ١٣-١٧) إلى آخر القصة التي تنتهي باستشهاد الرسول، ودخوله الجنة، وانتصار المبادئ والقيم التي كان يؤمن بها.

إن تنوع القصص في القرآن بتلك الخصائص البيانية الرفيعة قد جعل بعض الدارسين يعدونه وجهاً من أوجه الإعجاز في القرآن[٧٠]، وتتجلى جوانبه الإعجازية في قدرته على تصريف المعاني، وتنويع طرق الأداء، وتصوير المشاهد والشخصيات، وتوظيف الحوار، وتعميق الصراع بين أهل الحق والباطل.

وللقصص خصائص أسلوبية كثيرة حظيت بعناية الدارسين قديماً وحديثاً، وهي خصائص تساهم في عملية الإقناع والإمتاع، وتحقيق التأثير المناسب للنفوس البشرية، ويمكن إجمال هذه الخصائص في العناصر التالية:

أ - يمتاز أسلوب القصة في القرآن بجملة من العناصر التعبيرية والفنية مثل تصويره للحوادث والمشاهد، ورسمه للشخصيات ملامحها وأعمق خلجاتها النفسية، واتكائه على غريزة حب الاستطلاع في النفس البشرية حين يستحوذ على مشاعر القارئ، فلا يدعه يلتقط أنفاسه أو يفتر اهتمامه قبل أن يصل به إلى نهاية القصة، ويستوعب الدرس الذي توحي به وهو مؤثر بقدرته على الإثارة والتشويق بما يتخلله من مفاجآت تثير الانتباه، وتذكي الشوق إلى متابعة القصة، وهو مؤثر باستعانته بالخيال حين يترك فجوات في سياق الأحداث تاركاً للقارئ أن يستكملها بتصوره[٧١].

ب – ويمتاز الأسلوب القصصي بطريقته في البرهنة والاستدلال على قضية من القضايا الدينية المهمة بأسلوب السرد القصصي الممتع الذي يحقق الإقناع والتأثير، وقد أشار إلى ذلك «محمد أبو زهرة» فقال: «اتخذ القرآن القصص سبيلاً للإقناع والتأثير، وضمن القصة الأدلة على بطلان ما يعتقد المشركون وغيرهم، وقد يكون موضوع القصة رسولاً يعرفونه ويجلّونه، إذ يدعي المجادلون أنهم يحاكونه ويتبعونه، فيجيء الدليل على لسانه فيكون ذلك أكثر اجتذاباً لأفهامهم، وأقوى تأثيراً في نفوسهم، وقد يكون مفحماً ملزماً إن كانوا يجادلون غير طالبين للحق»(٧٢).

ج – ومن الخصائص الأسلوبية البارزة في القصص التنوع في طريقة العرض، والتنوع في طريقة المفاجأة، وإقامة فجوات بين المشاهد المعروضة(٧٣).

أما التنوع في طريقة العرض فيظهر في الأشكال المختلفة التي تظهر فيها القصة، فمرة تأتي القصة ملخصة ثم تتبعها التفصيلات، ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم تتبعها التفصيلات، ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ومرة تأتي القصة مثل التشيلية، تبدأ ثم تتحدث عن نفسها بواسطة الأبطال.

أما التنوع في طريقة المفاجأة فيتجلى في صور مختلفة، فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن المخاطبين حتى يكشف لهم في آن واحد، ومرة يكشف السر للمخاطبين، ويترك أبطال القصة عنه في عماية، ومرة يكشف بعض السر للمخاطبين، وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على المخاطبين وعن البطل في موضع آخر، ومرة لا يكون هناك سر بل تواجه المفاجأة البطل والمخاطبين في آن واحد.

وأما الخاصية المتبعة في القصص القرآني جميعه على وجه التقريب فهي وجود تلك الفجوات بين المشهد والمشهد في القصة الواحدة، ويعطى للمخاطب فرصة استكمال الأحداث الثانوية كما في قصة يوسف عليه السلام وغيرها من القصص، وقد استشهد «سيد قطب» على هذه الخصائص بشواهد كثيرة من القرآن لا يتسع المقام لذكرها في هذه الدراسة(٧٤).

وعلى الرغم من أن «سيد قطب» يعد القصص أحد عناصر التصوير في القرآن فإن هذه الدراسة وغيرها من الدراسات السابقة تثبت أن القصص بخصائصه الأسلوبية المتميزة هو إحدى طرق العرض في القرآن.

(٤) التصوير:

يعد التصوير من المصطلحات التي أصبح لها رواج في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، وعلى الرغم من أن النقاد القدامى قد استعملوا مصطلح «الصورة» و«التصوير» فإنهم لم ينهضوا بمفهوم اصطلاحي دقيق، ولم تتبلور لديهم الرؤية العامة للمصطلح لاهتمامهم الشديد بموضوع اللفظ والمعنى، وإقامة المفاهيم والتصورات جميعها على هذا المبدأ(٧٥).

أما البلاغيون والنقاد المحدثون فقد أعطوا لمصطلح «التصوير» أبعاداً كثيرة، وتعريفات متنوعة، على الرغم من اختلافهم الشديد في مجالات التحديد، وسيطرة عدم الوضوح وبعض الغموض على كثير من المفاهيم والتعريفات(٧٦).

ومن التعريفات الواضحة والقريبة إلى منطق البلاغة والنقد الهادف ما ذكره الدكتور «جابر عصفور» حيث قال: «الصورة هي طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أياً كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه»(٧٧).

فالتصوير إذن من خلال هذا المفهوم طريقة في عرض المعاني هدفها إحداث تأثير في ذهن المخاطب بالأداء الممتع والأسلوب الجميل، وهذا ما أشار إليه «سيد قطب» في دراسته عن التصوير في القرآن حيث قال: التصوير قاعدة أساسية في التعبير القرآني، وهي طريقة في العرض يفضلها في التعبير عن مختلف الأغراض والموضوعات»(٧٨).

وطريقة التصوير لا تشمل الحجم الذي جاء في دراسة «سيد قطب» ولكنها وردت في ألف وثمانين آية (١٠٨٠)، أي بنسبة سبع عشرة في المائة (١٧٪) كما أثبتت الدراسة الإحصائية الجديدة.

ويبدو لي أنه من الخطأ إدخال طرق «القصص» و«الحوار» و«المقابلة» في طريقة التصوير والقول بأن القرآن يعتمد على التصوير بشكل كلي تقريباً، بينما نرى طرقاً متنوعة في القرآن، تتناوب في العرض، وتتعاون في التعبير عن مختلف القضايا والأغراض، ولذلك قد تظهر في آية واحدة من القرآن أكثر من طريقة في العرض، مما يؤكد على ظاهرة التنويع التي هي – فيما يبدو – الأصل في التعبير القرآني.

وتعتمد طريقة التصوير في القرآن على التنويع في عرض المعاني، فتارة يأتي التصوير بالتشبيه، وتارة بالاستعارة، وتارة بضرب الأمثال، وتارة بالمجاز والكناية، وتارة يأتي بالكلمة المفردة، وهو ما أبدع فيه القرآن، وسما به على جميع أنواع التعبير عند البشر، ولنضرب أمثلة على كل نوع من هذه الأنواع قبل الحديث عن الخصائص الأسلوبية لهذه الطريقة المتميزة في العرض.

١ - التصوير بالتشبيه:

إن الغرض من التشبيه هو التوضيح والتأثير، ذلك أن المتفنن يدرك ما بين الأشياء من صلات يمكن أن يستعين بها في توضيح أفكاره(٧٩)، وتشبيهات القرآن كثيرة هدفها توضيح الحقائق أمام المخاطبين، وتقريبها إليهم كأنها أشياء محسوسة ملموسة.

وكثر في القرآن إيضاح الأمور المعنوية بالصور المرئية المحسوسة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ (إبراهيم الآية: ١٨).

فقد رسم المعنى المعقول وهو أعمال الكفرة يوم القيامة في صورة محسوسة تتجلى في ذلك الرماد المتطاير من شدة الريح العاصفة، وكذلك أعمال الكفار لا غناء فيها(٨٠).

٢ - التصوير بالاستعارة:

الاستعارة وسيلة من وسائل التصوير التي يكثر ورودها في القرآن الكريم، وقد عني بها البلاغيون القدماء كالإمام «عبدالقاهر الجرجاني» وغيره وأفردوا لها مباحث كثيرة، وأوردوا لها أمثلة متنوعة من القرآن وكلام البلغاء، وقد ذكروا أنها من الأساليب البليغة التي تعرض المعاني في صور جميلة، وفي قوالب محسوسة قريبة التناول(٨١).

ومن أمثلتها في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ (الشعراء

الآية: ٢٢٤-٢٢٦)، فقد استعار الأودية لفنون الشعراء ومقاصدهم الشعرية التي ينقلونها بأخيلتهم، ويصوغونها بأفكارهم، و«خص الاستعارة بالأودية دون الطرق والمسالك، لأن المعاني الشعرية تستخرج بالفكرة والروية وفيها خفاء وغموض، فلهذا كانت الأودية أليق بالاستعارة»[٨٢].

٣ - التصوير بضرب الأمثال:

ضرب الأمثال له قدرة كبيرة على التأثير والإقناع، وهو من الأساليب التي اعتمد عليها القرآن في كثير من الآيات والسور، ويعتمد ضرب الأمثال اعتماداً كلياً على التصوير[٨٣]، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ (الحج الآية: ٧٣)، يهدف القرآن إلى بيان ضعف ما يعبد المشركون وعجزه، ويعرض هذا الضعف في صورة مثل واضح قريب إلى النفوس، مدرك بالحواس، وجاءت حالة الضعف والهوان في صورة حية جميلة.

٤ - التصوير بالكلمة المفردة:

إن الجديد في لغة القرآن هو أنه في كل شأن من شؤون التعبير يتخير له أشرف الألفاظ[٨٤]، وأقربها دلالة على المعنى، وقد أشار الدارسون قديماً وحديثاً إلى ذلك، وتوسعوا في القول والاستدلال بما يؤكد فصاحة اللفظ القرآني ودقته ورونقه.

ولكنَّ بعض الألفاظ في القرآن تستقل بنفسها في تصوير المعنى، وهذا يعد من الخصائص الجليلة التي انفرد بها الأسلوب القرآني[٨٥] حتى سما إلى ذروة البلاغة والإعجاز، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ (الشعراء الآية: ٩٤-٩٥)، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ (البقرة الآية: ٩٦)، فلفظة «كبكبوا» ولفظة «مزحزحه» ترسمان صورة متخيلة فيها الحركة للفعل الحادث مع الكفار في يوم القيامة، ومثل هذه الألفاظ الكثيرة في القرآن في حاجة إلى دراسة منفصلة تستوعب هذا الجانب المتميز من التصوير القرآني.

وقد يظهر التصوير في القصة أيضاً؛ ذلك أن القصة مسرح واسع لعرض المشاهد والأحداث، وتصوير الشخصيات، ورسم المواقف المختلفة، ولكنه تصوير تابع للقصة، ومكمل لعناصرها الأخرى الأساسية.

ولطريقة التصوير خصائص أسلوبية حددها بعض الدارسين المحدثين(٨٦)، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

أ – يوفر التصوير قدراً عظيماً من الجمال الفني للتعبير القرآني، تلبية لنداء المتعة الأدبية لدى المتلقي، وليكون ذلك عوناً له على إدراك الحقائق الدينية التي يحرص القرآن على مزجها بقلوب الناس وعقولهم، والتعبير بالصورة الجميلة يساعد النفس الإنسانية على تلبية حاجاتها إلى الإمتاع على مرور الأجيال والعصور.

ب – ويساعد التصوير على تقريب المعاني إلى النفوس وتوصيلها في أشكال جميلة، فضلاً على منحه المعاني الذهنية والأفكار المجردة الحياة والحركة، فتصبح كأنها ملموسة مرئية، وهذا يساعد النفوس على الفهم والإدراك وأخذ الفائدة العقلية بأيسر السبل وأفضلها في الخطاب الإقناعي.

ج – ويمتاز التعبير بالتصوير بالإيجاز واختصار المسافات الواسعة، فالصورة قد تغني عن كثير من الفقرات والعبارات التي يفضل السياق القرآني حذفها ليترك للخيال البشري قدراً من التفكير والمشاركة في استيعاب الحقائق، وبخاصة في القصص ومشاهد القيامة.

(٥) المقابلة:

يعد بدرالدين الزركشي (٧٩٤هـ) أبرز الدارسين القدماء الذين عدوا المقابلة من فنون القرآن البليغة، وقد قال: «ذكر الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي القلعي أن القرآن كله وارد عليها بظهور نكته الحكمية العلمية»(٨٧).

وتعد المقابلة عند أغلب النقاد والبلاغيين القدامى جزءاً من علم البديع، فهي أداة بديعية تنميقية تساهم في بلاغة الكلام من حيث تحسين المعنى وتنميق اللفظ، ومفاهيمها عندهم متنوعة، وإن كانت تتشابه أحياناً لما قد يوجد من تأثر وتأثير بين مختلف الأفكار والآراء، وسنورد بعضاً من المفاهيم التي تنسجم مع المفاهيم الحديثة.

إن مفهوم المقابلة المتداول قديماً نجده عند ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) الذي عقد فصلاً واسعاً للمقابلة في كتابه «العمدة» ومثل لها بأمثلة متنوعة، يقول في تعريفها: «المقابلة أصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة»[٨٨].

يلاحظ في هذا التعريف أن ابن رشيق يفرق بين الطباق والمقابلة من حيث عدد الأضداد في الكلام، فالطباق عنده هو الجمع بين الضدين فحسب، أما المقابلة فتختص بالجمع بين أكثر من متضادين، ويعد ابن رشيق ببصره الناقد أول من تفطن إلى الخلط والالتباس بين الطباق والمقابلة، كما أنه يشير إشارة واضحة إلى العلاقة بين التضاد والمقابلة، وأن أكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد.

أما يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) في كتابه «الطراز» فيعقد باباً سماه «التضاد»، وهو للطباق والمقابلة، وقال في تعريفه: «هو أن يؤتى بالشيء وضده»[٨٩]، وهذا هو مفهوم الطباق عند البلاغيين، غير أن العلوي يرفض مصطلح الطباق لما فيه من معنى «التماثل» ويقترح صراحة أن يسمى مقابلة[٩٠].

وإذا كانت المقابلة محسناً بديعياً في مذاهب القدماء الذين أدخلوها في المحسنات المعنوية للكلام وصنفوها في بدائع القرآن فإنّ المتأمل في دلالاتها واستخداماتها الكثيرة يرى أن لها أهدافاً أبعد من ذلك، فهي فن بلاغي، وطريقة في أداء المعنى لها آثارها وقيمها البعيدة، كما أنها تساهم في إبراز المعنى بما فيها من ثنائية وتضاد، وهذا ما يؤكده المفهوم الحديث للمقابلة، حيث تتحدد بكونها طريقة في التعبير تقوم على مبدأ إقامة ضدية بين فكرتين أو تعبيرين أو كلمتين بمعنيين متقابلين أو متضادين[٩١].

فالمقابلة في المفهوم الحديث هي طريقة في التعبير تهدف إلى إقامة تضاد بين الألفاظ والمعاني والصور لتحقيق غايات بيانية وجمالية.

والدارس للأسلوب القرآني يلاحظ أن «المقابلة» هي إحدى طرق العرض البارزة فيه، وليست جزءاً ضئيلاً من المحسنات المعنوية التي تدرس في نطاق علم البديع، وهي من أساليب القرآن البليغة، ومن طرقه في اداء المعاني المختلفة، وقد دلت الدراسة الإحصائية على أن حجمها في القرآن بلغ اثني عشر في المائة تقريباً (١٢٪)، أي إنها ظهرت في سبعمائة وسبع عشرة (٧١٧) آية.

وسنحاول في هذا البحث سياق بعض الأمثلة من القرآن لإيضاح حقيقة المقابلة، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن المقابلة هي من جملة طرق العرض التي يلجأ إليها القرآن، وهي متكاملة ومتجانسة مع بقية الطرق الأخرى في أداء الأغراض وعرض الموضوعات والقيم التي يريدها المنهج القرآني.

ونبدأ بالمقابلة في مستواها البسيط الذي يسميه بعض الدارسين «طباقاً»، وهو في حقيقته تقابل يهدف إلى عرض قيم فكرية وجمالية بعيدة، ولا ينحصر دوره فقط في تحسين المعنى وتنميقه كما يرى البديعيون، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ (فاطر الآية: ١٩-٢٣).

في هذه الآيات عرضٌ لمجموعة من الأشياء المتضادة بطريقة «المقابلة»، وفيها بيان يثبت المفاضلة بين الشيء وضده للوصول إلى القيمة الدينية الكبرى، وهي أن الحق والباطل لا يستويان أبداً، كما أن الأعمى والبصير لا يستويان، هذا أعمى وذاك بصير، والظلمات والنور لا يستويان كذلك هذه ظلمات وذاك نور، والظل والحرور لا يستويان أيضاً، هذا ظل بارد وذاك سموم حار، والأحياء والأموات لا يستوون هؤلاء أحياء وأولئك أموات هامدون، ومراد الآيات هو اللفت إلى أن الأمور ليست على وجه واحد، وإنما لكل أمر وجهان، وجه وضد لهذا الوجه، مثل الوجود والعدم، والحق والباطل، والإيمان والكفر، والنور والظلام، والظلام والحر، والعذب والمالح وهكذا، والمطلوب من الخصم أن يعترف بأن الشيء الذي يمسك به ليس كل شيء، وإنما يقابله نقيضه، الذي يجب أن ينظر فيه، ويقابل الوجه الذي معه على الوجه الآخر الذي لهذا الشيء[٩٢].

فإذا كان المشركون يمسكون بالشرك، ولا يرون أن هناك معتقداً غيره فليعلموا أن هناك وجهاً آخر لا بد أن يقابل هذا الشرك، دون التفات إلى أيهما الفاضل وأيهما المفضول، إن الأمور لا تكون إلا على هذا الازدواج بين الشيء وضده، وليس الشرك الذي بين أيديهم بدعاً من الأشياء. فليبحثوا عن الوجه الآخر المقابل له، فإذا فعلوا كانت المرحلة الثانية من مراحل النظر، وهي أن يوازنوا بين ما معهم من شرك، وبين الوجه الآخر المقابل له وهو الإيمان[٩٣].

إن القرآن الكريم من خلال طريقة المقابلة يدعو إلى تحريك قوى النفس لدى الإنسان، وبخاصة قوة العقل كي تقيم موازنة بين الأشياء المختلفة، وتعلم حقيقة الشيء وما يناقضه، ثم تخرج بحكم نهائي وفق المنهج السليم في النظر كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ (التوبة الآية: ١٠٩).

فهذه الآية تقابل بين التقوى والكفر وفق طريقة القرآن الكريم في العرض، وهي آية حافلة بالحركة والتصوير، وهي قائمة على طريقة المقابلة في الأداء، وقبل الحديث عن القيم الجمالية والتعبيرية فيه لا بد من الحديث عن القيم الفكرية التي تريد الآية توصيلها إلى النفوس.

إن الآية الكريمة تمثل للتقوى والكفر ببناءين، كل واحد منهما قائم على قاعدة سواء أكانت القاعدة صلبة أم غير ذلك، وكل بناء يمثل تصوراً خاصاً، وموقفاً واضحاً من العلاقة بدين الله، كما أن الآية تريد من المستمع أو القارئ أن يوازن ويقارن بين هذين البناءين، ثم يحكم على خيرية أحدهما، وشرية الآخر.

والقيمة الفكرية التي ترمي إليها هذه الآية باستخدامها طريقة المقابلة بين معنيين، كل واحد منهما يناقض الآخر ويضاده هي بيان ثبات الحق الذي هو دين الإسلام، وقوة دوامه وسعادة أهله به، وبيان ضعف الباطل واضمحلاله ووهيه وقرب زواله، وخيبة صاحبه وسرعة انقطاع آماله.

فالمعنى الذي يريده القرآن من خلال هذه الآية هو أن الخير بمعانيه كلها قائم على قواعد ثابتة، وأن بنيان الشر بأشكاله كلها متزعزع الأركان والجدران، آيل للسقوط في كل لحظة وحين، وأن المؤمن في مقابل الكافر هو المستحق لخلافة الله في الأرض، وهو المستحق للبقاء والثبات.

أما القيمة الجمالية في التعبير فتبرز من خلال طريقة العرض القائمة على التقابل في المعنى وفي الصورة، وهي طريقة لها وظيفتها المتميزة في عملية الإقناع والإمتاع، والملاحظ في هذه الآية أن المعنى مؤدى في صورتين متقابلتين، صورة تمثل بنيان الحق والخير الثابت، وصورة أخرى تناقضها تماماً لبنيان الكفر المتزعزع.

لقد اجتمعت في الآية أكثر من طريقة في العرض، طريقة الحوار، وطريقة التصوير، وطريقة المقابلة، وهذه الطرق متكاملة ومنسجمة، وهذا من خصائص الأسلوب القرآني الذي ينوع في الطرق، ويعدد في الأساليب.

ويتضح من خلال الدراسة الإحصائية، ومن خلال هذه الآيات القليلة أن المقابلة طريقة يعتمد عليها القرآن في عرض قضاياه المختلفة، ولا يتسع المقام لعرض نماذج أخرى كثيرة في القرآن، وسنقف الآن عند بعض الخصائص الأسلوبية لهذه الطريقة البارزة في القرآن.

أ – من خصائص المقابلة التنوع في أسلوبها وأدائها، فقد يعرض القرآن قضية واحدة في أماكن كثيرة منه ولكن في أشكال متقابلة متنوعة، ويظهر ذلك جلياً في قضية البعث والجزاء التي يفضل القرآن في الغالب عرضها بطريقة التقابل، حيث تأخذ أشكالاً أسلوبية متعددة كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ (الغاشية الآية: ١–١٦)، وتعرض القضية نفسها وبالطريقة نفسها في مواضع أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ

لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ (الزمر الآية: ٧١-٧٤).

ب - ومن خصائص المقابلة إضفاء صفة الجمال على التعبير اقرآني، ومنشأ هذا الجمال وجود الصور المتقابلة، والأفكار المتضادة، والنماذج البشرية المتباينة، وغير ذلك من القضايا التي يعرضها القرآن بأسلوب التقابل، ومعروف عند البلاغيين ونقاد الأدب أن وجود الشيء وضده يحسن الكلام، ويجمل المعاني، ولذلك قيل: الضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتميز الأشياء، فالذي يعطي للنهار جمالاً وأهمية وجود الليل، والذي يعطي للحياة قيمة وطعما وجود الموت، والذي يعطي للإيمان قيمة وجمالاً وجود الكفر، وهكذا في جميع الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة[٩٤].

وقد حرص القرآن في كثير من مواضعه على عرض قضاياه في أشكال متقابلة تلفت الأذهان إلى حسنها، وتشد القلوب إلى جمالها كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (السجدة الآية: ١٨-٢٠).

ج - ومن الخصائص الأسلوبية أيضاً توفير قدر كبير من التناسق بين الأجزاء المكونة لفكرتين متقابلتين، أو صورتين متضادتين، و«التعبير القرآني يكثر من استخدام المقالة في تنسيق صوره التي يرسمها على نحو دقيق»[٩٥]، ولننظر مثلاً هذا التناسق بين الأجزاء في الآيات التالية، وكيف أعطى للتعبير جمالاً وورنقاً، وللصورة وضوحاً وبياناً، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ (عبس الآية: ٣٨-٤٢).

وتستخدم المقابلة في بعض الآيات للتنسيق بين فكرتين متضادتين بغية إثبات

حقيقة من الحقائق وتوضيحها أمام المخاطبين، كما في هذه الآيات التي تهدف إلى تقرير حقيقة الرسالة المحمدية، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ۝٣﴾ (محمد الآية: ١-٣).

خاتمة

بعد دراسة طرق العرض في القرآن دراسة أسلوبية استوعبت أهدافها وخصائصها الأسلوبية فضلاً عن إجراء دراسة إحصائية جديدة خلص البحث إلى النتائج التالية:

١ – يهدف القرآن الكريم إلى مخاطبة النفوس البشرية في الأمكنة والأزمنة كلها لمدها بالهداية وتزويدها بالحقائق عن الله والكون والإنسان، وفي سبيل ذلك اتبع القرآن الطرق البلاغية في الخطاب توصيلاً لمعانيه وأفكاره إلى النفوس، وتحقيقاً لغايات الإقناع والإمتاع.

٢ – إن تعدد طرق العرض ظاهرة واضحة في القرآن الكريم، وهي إحدى خصائص الأسلوب في هذا الكتاب العظيم، وهي ليست ظاهرة طبيعية يقتضيها فن الخطاب فحسب، بل هي منهج متبع له أهداف يرمي إليها، وله خصائص يسير عليها؛ وليس المقصود بطرق العرض تلك الأساليب البلاغية الكثيرة التي ذكرها البلاغيون القدماء، وإنما المقصود بها تلك الطرق العامة في العرض التي يقوم عليها القرآن الكريم كله، وتأتي شاملة لكثير من الآيات والسور، وهي قوام الأشكال والأساليب المستخدمة جميعها في القرآن، وتتمثل هذه الطرق في طريقة السرد المباشر، وطريقة الحوار، وطريقة القصص، وطريقة التصوير، وطريقة المقابلة.

٣ – إن القرآن الكريم بحقائقه وطرقه في العرض يشبع العقل والعاطفة، لأنه يقيم توازناً بين القوى الإدراكية والقوى الشعورية في النفس الإنسانية بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر، وقد كان من أهداف طرق العرض في القرآن خطاب البشر بالطريقة التي تناسبهم وتحقق حاجاتهم إلى الإقناع والإمتاع، كما هدفت إلى تحريك العقول وتنشيط الضمائر لمعرفة الحقائق وإدراك المطالب التي يريدها القرآن فضلاً عن توفير الحاجات السيكولوجية والمسوغات النفسية التي تساعد النفوس على تجاوز ما قد ألفته من أفكار وتصورات وأخلاق وعادات اجتماعية، كما تهدف إلى توفير قدر من الجمال في

التعبير للتأثير في النفوس بالأسلوب الأدبي القائم على عنصري القوة في المعنى، والجمال في الأسلوب.

٤ – تمتاز طرق العرض بجملة من الخصائص الأسلوبية منها:

أولاً: قدرة هذه الطرق على سَوْقِ المعاني مشبعة بالأدلة فياضة بالبراهين، قريبة التناول إلى العقول والقلوب، سهلة الإدراك على الخاصة والعامة من الناس.

ثانياً: توفر هذه الطرق قدراً عظيماً من الجمال الفني في التعبير تلبية لنداء المتعة الأدبية لدى المخاطبين، وليكون ذلك عوناً لهم على إدراك الحقائق الدينية.

ثالثاً: تمتاز هذه الطرق بظاهرة التنوع في أدائها وأسلوبها فقد يعرض القرآن القضية الواحدة بعدة طرق كما يلاحظ ذلك في القصص والمقابلة والحوار.

رابعاً: تعرض هذه الطرق الحقائق في طبيعتها التي تناسب البداهة والحس، وتلائم العقل والشعور، ولا يتبع القرآن تلك الطرق الوعرة التي يفضلها الفلاسفة وأهل الكلام في عرض قضاياهم المعقدة التي ترهق النفوس وتناسب الخاصة من الناس.

الهوامش والحواشي

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج٢، ص١٤٨، ١٤٩، ط دار المعرفة، بيروت.
(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبدالعظيم المطعني، ج١، ص٨، ط١، مكتبة وهبة القاهرة، ١٩٩٢.
(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ (الكهف الآية: ١٠٩).
(٤) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، عبدالغني بركة، ص٥٣، ط١، مكتبة وهبة القاهرة، ١٩٨٣.
(٥) الجامع الصحيح للترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ج٥، ص١٥٨، ١٥٩، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
(٦) انظر الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ص١٢٠ وما بعدها، ط دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥.
(٧) بيان إعجاز القرآن للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ص٢٧، ٢٨، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.
(٨) صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٤٤.
(٩) التصوير الفني في القرآن، ص٢٣٩، ٢٤٠، ط٧، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢.
(١٠) المرجع نفسه، ص٢٥٤.
(١١) المرجع نفسه، ص٢٥٤.
(١٢) مجلة الرسالة، السنة العاشرة، مجلد ١، عدد ٦٢٢، سنة ١٩٤٥، ص٥٨٣.
(١٣) مجلة الرسالة، السنة الثالثة عشر، مجلد ١، عدد ٦٢٥، سنة ١٩٤٥، ص٦٧٧.
(١٤) مجلة المقتطف، مجلد ٩٤، ج٢، فبراير ١٩٣٩، ص٢٠٧، مقال «التصوير الفني» لسيد قطب.
(١٥) التصوير الفني في القرآن، ص٨.
(١٦) نظرات في القرآن، محمد الغزالي، ص١٢٥، دار الشهاب، الجزائر.
(١٧) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص١٠٣-١١١، دار القلم، الكويت.
(١٨) الجامع الصحيح للترمذي، ج٥، ص١٥٨، ١٥٩، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م.
(١٩) تفسير الفخر الرازي، ج٢٠، ص١٣٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٢٠) المعجزة الكبرى للقرآن، محمد أبو زهرة، ص٢٦٨، ٢٦٩، دار غريب للطباعة، القاهرة.
(٢١) روح الجماعات، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥.
(٢٢) نظرات في القرآن، محمد الغزالي، ص١٢٥.
(٢٣) تفسير الكشاف محمود بن عمر الزمخشري، ج٤، ص١٢٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦.
(٢٤) المقابلة في القرآن الكريم، بن عيسى بطاهر، رسالة دكتوراه (مخطوطة)، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان – الأردن، ١٩٩٤.
(٢٥) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، ص١٦، ط٣، دار الوفاء، مصر ١٩٩٢.
(٢٦) انظر مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، ص٧٠، دار القلم، الكويت، ١٩٨١.
(٢٧) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص٧٥، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلّام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

(٢٨) أسلوب الدعوة القرآنية، عبدالغني سعد بركة، ص١٧٩.
(٢٩) انظر تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج٢، ص٨٨، ٨٩، المؤسسة التونسية للنشر.
(٣٠) الحوار في القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله، ص٣٢، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٧٩.
(٣١) المرجع نفسه، ص٣٢.
(٣٢) سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقره، ص٤٦٩، الشركة التونسية للتوزيع.
(٣٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج٢، ص١٧٨، دار المقتطف، مصر، ١٩١٤.
(٣٤) التصوير الفني في القرآن، ص٣٧.
(٣٥) انظر العمدة لابن رشيق القيرواني، ج٢، ص١٥، تحقيق محي الدين عبدالحميد، ط٣، دار السعادة، مصر، ١٩٦٤، وانظر مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، ص٢٠٠، القاهرة، ١٩٣٧.
(٣٦) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص٩٦.
(٣٧) المقابلة في القرآن الكريم، بن عيسى بطاهر، ص١٨٧، وما بعدها.
(٣٨) المعجزة الكبرى للقرآن، ص٣٥٤، دار الفكر العربي.
(٣٩) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي، ج٢، ص٢٢٣.
(٤٠) ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج٢، ص٨٤.
(٤١) الإيجاز لأسرار الطراز (مخطوط) مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، ج١، ورقة ١٣.
(٤٢) المصدر نفسه، ج١، ورقة ١٤.
(٤٣) الكشاف، ج١، ص٢٢٠، ٢٢١.
(٤٤) تفسير الفخري الرازي، ج٥، ص٦٢، المطبعة البهية المصرية، ١٩٣٨.
(٤٥) إلجام العوام عن علم الكلام، أبو حامد الغزالي، ص٨١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥.
(٤٦) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر عواض الألمعي، ص٦٤، ط٣، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٩٨٤.
(٤٧) الكشاف، ج١، ص٤٦.
(٤٨) انظر الفلسفة التربوية في القرآن، محمد فاضل الجمالي، ص٨٨، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٦.
(٤٩) انظر مثلاً الحوار في القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله، ص٢٢.
(٥٠) الفلسفة التربوية في القرآن، محمد فاضل الجمالي، ص٩٥.
(٥١) مناهج الجدل في القرآن، زاهر عواض الألمعي، ص٤١٥.
(٥٢) المرجع نفسه، ص١٢٦.
(٥٣) أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، عبدالعلم فوده، ص٤٨٧، ٤٨٨، مؤسسة دار الشعب، القاهرة.
(٥٤) مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر عواض الألمعي، ص٢٩٨.
(٥٥) المرجع نفسه، ص٧٤.
(٥٦) انظر مثلاً البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج٢، ص٢٤ ومناهج الجدل في القرآن، زاهر عواض الألمعي، ص٤١٦.
(٥٧) مناهج الجدل في القرآن، ص٤٢٢.
(٥٨) المرجع نفسه، ص٤١٩.
(٥٩) بحوث في قصص القرآن، السيد عبدالحافظ عبد ربه، ص٨٧، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢.
(٦٠) رسائل الجاحظ، ج٣، ص٢٣٩، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٦١) البرهان في علوم القرآن، بدرالدين الزركشي، ج٣، ص٢٦، ٢٧.
(٦٢) إعجاز القرآن، ص١١٦ ضمن الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، دار المعرفة، بيروت.
(٦٣) انظر البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٩، ٢٧.
(٦٤) سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقره، ص١٥٦.
(٦٥) الفن القصصي في القرآن، محمد خلف اللّه أحمد، انظر ص١٧٧، القاهرة، ١٩٦٥.
(٦٦) انظر سيكولوجية القصة في القرآن، محمد خلف الله أحمد، ص١٥٦.
(٦٧) المرجع نفسه، ص١٧٦.
(٦٨) المرجع نفسه، ص٢٤٨.
(٦٩) المرجع نفسه، ص١٥٦.
(٧٠) الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٥١.
(٧١) أسلوب الدعوة القرآنية، عبدالغني بركة، ص٣٠٣.
(٧٢) المعجزة الكبرى القرآن، ص٣٧٥.
(٧٣) انظر التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص١٨٠، ١٨٩.
(٧٤) المرجع نفسه، ص١٨٠ وما بعدها.
(٧٥) الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير، ص٣٣، ٣٤، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨١.
(٧٦) المرجع نفسه، ص٣٤.
(٧٧) ص٣٩٢، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٤.
(٧٨) التصوير الفني في القرآن، ص٢٣٩.
(٧٩) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص١٩٠، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
(٨٠) المرجع نفسه، ص١٩٣، ١٩٤.
(٨١) انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي، ص١١٢ ج١.
(٨٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢١٤.
(٨٣) الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير، ص١٥٠ وما بعدها.
(٨٤) النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، ص٩٢، دار القلم، الكويت.
(٨٥) التصوير الفني في القرآن، ص٩١.
(٨٦) المرجع نفسه، ص٢٣٩ وما بعدها.
(٨٧) البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٤٥٨.
(٨٨) العمدة، ج٢، ص١٥.
(٨٩) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، ج٢، ص٣٧٧.
(٩٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٨.
(٩١) المقابلة في القرآن الكريم، بن عيسى بطاهر، ص١٨.
(٩٢) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، ج٤، ص٨٧٣، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٧٠.
(٩٣) المرجع نفسه، ج٤، ص٨٧٣، ٨٧٤.
(٩٤) المقابلة في القرآن الكريم، بن عيسى بطاهر، ص٢٠٨.
(٩٥) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص٩٦.

قسيمة اشتراك

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

يرجى اعتماد اشتراكي في المجلة لمدة:

◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات ◯ أربع سنوات بعدد ( ) نسخة

أرفق طيه قيمة الاشتراك .....

◯ نقداً/شيك ◯ حوالة نقدية ◯ إرسال فاتورة للتسديد

الاسم .....

العنوان الكامل .....

التاريخ / / التوقيع

ترسل الاشتراكات الى حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب ١١٣٧٠ الخالدية - الرمز البريدي 13114 - الكويت - تلفاكس ٢٤٨١٠٣١٩

قسيمة اشتراك

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

يرجى اعتماد اشتراكي في المجلة لمدة:

◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات ◯ أربع سنوات بعدد ( ) نسخة

أرفق طيه قيمة الاشتراك .....

◯ نقداً/شيك ◯ حوالة نقدية ◯ إرسال فاتورة للتسديد

الاسم .....

العنوان الكامل .....

التاريخ / / التوقيع

ترسل الاشتراكات الى حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب ١١٣٧٠ الخالدية - الرمز البريدي 13114 - الكويت - تلفاكس ٢٤٨١٠٣١٩

قسيمة اشتراك

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

يرجى اعتماد اشتراكي في المجلة لمدة:

◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات ◯ أربع سنوات بعدد ( ) نسخة

أرفق طيه قيمة الاشتراك .....

◯ نقداً/شيك ◯ حوالة نقدية ◯ إرسال فاتورة للتسديد

الاسم .....

العنوان الكامل .....

التاريخ / / التوقيع

ترسل الاشتراكات الى حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب ١١٣٧٠ الخالدية - الرمز البريدي 13114 - الكويت - تلفاكس ٢٤٨١٠٣١٩

قسم الاشتراكات

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي
BY AIR MAIL
AR AVION

قسم الاشتراكات

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي
BY AIR MAIL
AR AVION

قسم الاشتراكات

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي
BY AIR MAIL
AR AVION

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

مجلة فصلية محكمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٥

رئيس التحرير

أ. د. أحمد يوسف العذبي العباد

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية.. إلخ (باللغتين العربية والإنجليزية).

الأبواب الثابتة

- البحوث (باللغتين العربية والإنجليزية).
- عرض الكتب ومراجعاتها.
- التقارير: مؤتمرات - ندوات.
- البيبليوجرافيا العربية والإنجليزية.
- ملخصات الرسائل الجامعية (الماجستير - الدكتوراه).
- ملخصات باللغة الإنجليزية للبحوث المنشورة باللغة العربية وبالعكس.

الاشتراكات

دولة الكويت: ٣ دنانير للأفراد، ١٥ ديناراً للمؤسسات.

الدول العربية: ٤ دنانير للأفراد، ١٥ ديناراً للمؤسسات.

الدول الأجنبية: ١٥ دولار للأفراد، ٦٠ دولار للمؤسسات.

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير:

ص.ب: 17073 - الخالدية الكويت - الرمز البريدي 72451

تليفون: 4833215 - 4833705 - فاكس: 4833705

E-MAIL:JOTGAAPS@KUC01.KUNIV.EDU.kW

Http://Pubcouncil.Kuniv.Edu.Kw/JGAPS

مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية
محكمة تعنى بنشر البحوث
والدراسات القانونية والشرعية
تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور / إبراهيم الدسوقي أبو الليل

صدر العدد الأول في
يناير ١٩٧٧

الاشتراكات
في الكويت : ٣ دنانير للأفراد، ١٥ ديناراً للمؤسسات
في الدول العربية : ٤ دنانير للأفراد، ١٥ ديناراً للمؤسسات
في الدول الأجنبية : ١٥ دولاراً للأفراد، ٦٠ دولاراً للمؤسسات

المراسلات
توجه جميع المراسلات إلى رئيس
التحرير على العنوان التالي :

مجلة الحقوق . جامعة الكويت
ص.ب 13055 الكويت
تلفون ٤٨٣١٠٠

مجلس النشر العلمي
Council

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكّمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تُعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور: عجيل جاسم النشمي

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

* تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
* تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوي شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
* تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
* تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص.ب ١٧٤٣٣ - الرمز البريدي: 72455 الخالدية - الكويت هاتف: ٤٨١٢٥٠٤ - فاكس: ٤٨١٠٤٣٤
بدالة: ٤٨٤٦٨٤٣ - ٤٨٤٢٢٤٣ - داخلي: ٤٧٢٣

العنوان الإلكتروني: E-mail - JOSAIS@KUC01.KUNIV.EDU.KW

issn: 1029 - 8908

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: http:,,pubcouncil.kuniv.edu.kw,JSIS

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org,general,eng,infoserv/db,dare.html

المجلة العربية للعلوم الإدارية

Arab Journal of Administrative Sciences

● صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٩٣ ● First Issue, November 1993

● علمية محكمة تعنى بنشر البحوث الأصيلة في مجال العلوم الإدارية ● A refereed Journal Publishes Original Research in Administrative Sciences

● تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كل أربعة أشهر (يناير، مايو، سبتمبر) ● Published by the Academic Publication Council, Kuwait University, 3 Issues (January, May, September)

تهدف المجلة إلى المساهمة في تطوير ونشر الفكر الإداري والممارسات الإدارية ● The Journal Intends to Develop and Publish Business Thoughts

● مفهرسة في قواعد البيانات العالمية ● Indexed by Several International Databases

ISSN: 1029-855X

الاشتراكات

الكويت : 3 دنانير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات الدول العربية : 4 دنانير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات

الدول الأجنبية : 15دولاراً للأفراد - 60 دولاراً للمؤسسات

المجلة العربية للعلوم الإدارية - جامعة الكويت ص.ب : 28568 الصفاة 13055 - دولة الكويت

هاتف : 4817028 (965) Tel: بمدالة : 4846843 (965) داخلي : 4415 - 4416 فاكس: 4817028 (965) Fax:

e-mail: ajoas@kuc01.kuniv.edu.kw

جامعة الكويت
مجلس النشر العلمي

■ تشكلت لجنة التأليف والتعريب والنشر بقرار صادر من وزير التربية والتعليم رقم (٢٠٣) بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٩٧٦

* أهداف اللجنة :

١- توسيع دائرة النشر العلمي [illegible] في جامعة الكويت.

٢- إثراء المكتبة الكويتية [illegible] والتاريخية وكتب التراث الإسلامي باللغات الأجنبية [illegible]

٣- دعم وتنشيط [illegible] الإبداع الفردي.

* مهام اللجنة :

- طبع ونشر [illegible]

رئيس اللجنة : د. محمد عبد المحسن المقاطع
توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة
جامعة الكويت مجلس النشر العلمي
ص.ب : ٥٤٨٦ الصفاة - الرمز البريدي : 13055 الشويخ
بدالة : ٤٨٤٦٨٤٣ / ٤٨٤١٥٣٨ داخلي : ٨١٥٩ / ٤٥٦٦ / ٤٥٧١ / ٨١٠١ مباشر / فاكس : ٤٨٤٣١٨٥

The Qur'an Stylistic Techniques, its Goals and Characteristics

Abstract

This study deals with the preservative and aesthetic tools used in the language of the Qur'an. The focus will be on five of the most common of these tools: direct narration, dialogue, storytelling, imagery and comparison. My approach is both comprehensive and statistic. It is based on a modern stylistic framework.

The study probes the subject from a general angel, which covers the general aspects of the Holy Qur'an, and an elaboration of each tool following modern me - thodology based on systematic analysis, statistics, and general characteristics.

The Qur'anic language has at least two functions: the preservative function and the aesthetic one. The first arouses reflection and reasoning while the second meets the psychological needs and entertains the addressee.

The preservative and aesthetic techniques utilized by the Qur'an are characterized by a set of stylistic features, which can be summarized in three points:

1 - The Qur'an combines its stylistic techniques with the appropriate pieces of evidence which tend to be explicit and unequivocal.

2 - The rhetoric goals and the religious intentions are well integrated in the language of the Qur'an.

3 - Unlike the complicated approaches followed by philosophers and speculative theologians, the variations of style are an apparent feature in the Qur'anic approach. This makes it suitable and appealing to the human nature.

The Author:

Dr. Ben Issa Bettahar

- Ph. D. in Arabic Language and Literature (Rhetoric and Criticism), Jordan University, 1994.
- Assistant Professor of Arabic Rhetoric, Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences, Sharjah University.
- Member of the Association for Protecting Arabic Language, Sharjah.
- Member of International League of Islamic Literature.

Published Articles:

- Methods of Persuasion in Holy Qur'an. Dar Diaà, Amman, Jordan, 2000.
- Antithesis in the Holy Qur'an, Dar Amar, Am,man, Jordan, 2000.
- Civilized Role of Arabic Language in Globalization Age. Association for Protecting Arabic language, Sharjah, 2001.

Monograph: 178

The Qur'an Stylistic Techniques, its Goals and Characteristics

Dr. Ben Issa Bettahar
Department of Arabic Language and Literature
Sharjah University - UAE

إيات الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي جامعة الكويت

فصلية - أكاديمية - محكمة

تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في تخصصات السياسة والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية والجغرافيا السياسية والبشرية

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور
أحمد محمد عبدالخالق

تفتح أبوابها أمام

- **أوسع مشاركة للباحثين الاجتماعيين العرب للإسهام في معالجة قضايا مجتمعاتهم.**
- **التفاعل الحي مع القارئ المثقف والمهتم بالقضايا المطروحة.**
- **المقابلات والمناقشات الجادة ومراجعات الكتب والتقارير.**
- **تؤكد المجلة التزامها بالوفاء والانتظام بوصولها في مواعيدها المحددة إلى جميع قرائها ومشتركيها**

الاشتراكات

الكويت والدول العربية:

أفراد: ٣ دنانير سنوياً داخل الكويت، ويضاف إليها دينار واحد في الدول العربية.

مؤسسات: في الكويت والدول العربية ١٥ ديناراً في السنة، ٢٥ ديناراً لمدة سنتين.

الدول الأجنبية:

أفراد: ١٥ دولاراً.

مؤسسات: ٦٠ دولاراً في السنة ، ١١٠ دولارات لسنتين.

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً نقداً أو بشيك باسم المجلة مسحوباً على أحد المصارف الكويتية ويرسل على عنوان المجلة، أو بتحويل مصرفي لحساب مجلة العلوم الاجتماعية رقم 07101685 لدى بنك الخليج في الكويت (فرع العديلية)

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت

ص.ب ٢٧٧٨٠ صفاة، الكويت 13055

تليفون ٤٨١٠٤٣٦ - ٤٨٣٦٠٢٦ فاكس ٤٨٣٦٠٢٦/ ٠٠٩٦٥

E-mail:JSS@kuniv.edu.kw

Visit our web site
http://kuc01.Kuniv.edu.kw/~jss

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

علمية . أكاديمية . فصلية . محكمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

الاشتراكات

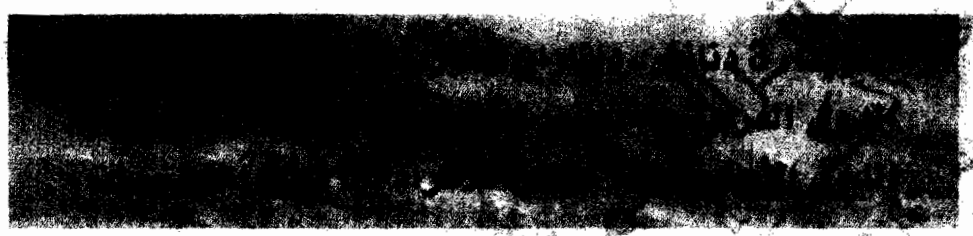

بحوث باللغة العربية والإنجليزية

ندوات . مناقشات . عروض كتب . تقارير

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير:
ص.ب: 26585 الصفاة - رمز بريدي 13126 الكويت
هاتف: 4817689 - 4815453 - فاكس: 4812514
e-mail: ajh@kucø1.kuniv.edu.kw

يمكنك الاطلاع على المجلة باللغتين العربية والإنجليزية مع الفهرس على شبكة الانترنت

المجلة التربوية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت مجلة فصلية، تخصصية، محكّمة

رئيس التحرير:

أ. د كمال إبراهيم مرسي

تنشر

البحوث التربوية المحكّمة

مراجعات الكتب التربوية الحديثة

محاضر الحوار التربوي

والتقارير عن المؤتمرات التربوية

- تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.
- تنشر لأساتذة التربية والمختصين بها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية.

الاشتراكات:

في الكويت:	ثلاثة دنانير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات
في الدول العربية:	أربعة دنانير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات
في الدول الأجنبية:	خمسة عشر دولاراً للأفراد، وستون دولاراً للمؤسسات.

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير المجلة التربوية - مجلس النشر العلمي ص.ب: ١٣٤١١ كيفان - الرمز البريدي 71955
الكويت هاتف: ٤٨٤٦٨٤٣ (داخلي ٤٤٠٣ -٤٤٠٩) - مباشر: ٤٨٤٧٩٦١ - فاكس: ٤٨٣٧٧٩٤

E-mail: TEJ@kuc01.kuniv.edu.kw.

مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

جامعة الكويت

إنشاء المركز:

أنشىء مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية كأحد مراكز البحوث والدراسات المتخصصة التي تعمل تحت مظلة جامعة الكويت - ومقره الرئيسي بجامعة الكويت - في ٢٩ فبراير ١٩٩٤م بقرار من وزير التربية والتعليم العالي والرئيس الأعلى للجامعة .

أهداف المركز:

- إبراز الخصوصية البيئية للمنطقة الخليجية وإجراء البحوث والدراسات المسحية التي تستهدف التعرف على معطيات البيئة ومواردها .
- متابعة قضايا التنمية بأبعادها الحضارية الشاملة وفي ضوء المتغيرات العالمية المتلاحقة .
- رصد مشكلات التحول الاجتماعي والثقافي المتسارع الذي تشهده المنطقة الخليجية في توجهاتها الإقليمية والعربية والإسلامية والعالمية .
- متابعة الأحداث الجارية بالتقصي والتحليل العلمي الدقيق .
- جمع الوثائق التاريخية والحديثة وكافة البيانات والمعلومات المتعلقة بالمنطقة الخليجية وبناء قاعدة راسخة للمعلومات تعين الدارسين والباحثين .
- التوسع في النشر العلمي بمختلف صوره للبحوث والدراسات الخليجية والاهتمام بالترجمة .
- تحفيز الاهتمام بالدراسات الخليجية بتقديم المنح الدراسية وإقامة المسابقات والإعلان عن الجوائز .

سجل الأحداث الجارية لمنطقة الخليج والجزيرة العربية:

يعنى بالوثائق واليوميات وهو رصد للأحداث الجارية في منطقة الخليج والجزيرة العربية وتجميع الوثائق ذات الأهمية الخاصة بالوقائع والأحداث الجارية في هذه المنطقة ووضع القارىء المتابع لأحداث المنطقة أمام تصور شامل . يصدر كل ثلاثة أشهر .

من أهم أعمال المركز:

١ - مشاريع الدراسات والأبحاث المتعلقة بقضايا الخليج المختلفة وعلى وجه الخصوص الحيوية والهامة .
٢ - المؤتمرات والندوات لخدمة قضايا الخليج ودوله .
٣ - حلقات نقاشية دورية بالموضوعات المتعلقة بقضايا دول مجلس التعاون الخليجي .
٤ - إصدارات خاصة بالدراسات التي تعنى بشئون الخليج وقضاياه الهامة .

إصدارات المركز:

- وقائع الندوة العلمية الرابعة لدول مجلس التعاون الخليج (وحدة التاريخ والمصير وحتمية العمل المشترك) الفترة من ١٥ - ١٧ نوفمبر ١٩٩٣ (في مجلدين) .
- وقائع المؤتمر العالمي عن آثار العدوان العراقي على دولة الكويت - الكويت ٢ - ٦ أبريل ١٩٩٤ في ثلاثة مجلدات .
- الأبعاد النفسية لآثار الغزو العراقي على دولة الكويت - ١٩٩٦ .
- رحلة مرتضى بن علوان من دمشق إلى الأماكن المقدسة والأحساء والكويت والعراق ١١٢٠ - ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م - ١٩٩٧ .

المراسلات

جميع المراسلات باسم مديرة المركز
أ . د . ميمونة خليفة العذبي الصباح
ص . ب ١٧٠٧٣ الخالدية - الكويت
الرمز البريدي (٧٢٤٥١)
هاتف : ٤٨١٦٧٩٩ - ٤٨١٦٨٠٧ - ٤٨١٦٨٢٤

الاشتراكات

١ - داخل الكويت : الأفراد ... ٢ د . ك .
المؤسسات ..... ١٢ د . ك .
٢ - الدول العربية : الأفراد ..... ٥ ,٢ د . ك .
المؤسسات ..... ١٢ د . ك .
٣ - الدول الأجنبية : الأفراد ... ١٢ دولارا
المؤسسات ..... ٦٠ دولارا

Price of the Monograph					
Kuwait K.D 500	Emirates D.H 10	Bahrain B.D. 1	Qatar R.S 10	Saudi Arabia R.S 10	Oman R.S 1
Yemen R.S 10	Egypt E.P 3	Lebanon L.L 3000	Jordan J.D 750	Syria S.L 50	Sudan S.P 1
Libya L.D 2	Algeria A.D 10	Tunis T.D 1	Morocco M.D 15		

Subscribtion for 12 Monographs				
Subscription Period	**Subscription Type**	**Kuwait**	**Arab Countries**	**Foreign Countries**
1 Year	**Individuals**	7 K.D	10 K.D	37 $
	Institutions	37 K.D	37 K.D	150 $
2 Year	**Individuals**	12 K.D	17 K.D	62 $
	Institutions	62 K.D	62 K.D	250 $
3 Year	**Individuals**	17 K.D	24 K.D	87 $
	Institutions	87 K.D	87 K.D	350 $
4 Year	**Individuals**	22 K.D	30 K.D	112 $
	Institutions	112 K.D	112 K.D	450 $

All correspondence and enquiries must be addressed to:

Editor
ANNALS OF ARTS AND SOCIAL SCIENCES
P.O Box 17370 El-Khaldiah - KUWAIT 72454
Tel: 4810319 - Fax: 4810319

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab
E-mail: aotfoa@kuc01.kuniv.edu.kw
http://Pubcouncil.kuniv.edu.kw/AFA/

Consultants

Prof. Ahmed Atman
Department of Greek and Latin Studies - Cairo University

Prof. Ismail S. Mukalled
Department of Political Sciences - Assiut University

Prof. Jihan Rashti
Department of Radio and Television - Cairo University

Prof. Hayat N. Al-Hajji
Department of History - Kuwait University

Prof. Abdul-Aziz Hammouda
Department of English Language and Literature - Cairo University

Prof. Ezziddin Ismail
Department of Arabic Language and Literature - Ein Shams University

Prof. Mohammed Gh. Al-Rumeihi
Department of Sociology - Kuwait University

Prof. Mohammed M. I. Al-Deeb
Department of Geography - Ein Shams University

Prof. Mahmoud Rajab
Department of Philosophy - Cairo University

Prof. Mahmoud S. Abu Al-Neel
Department of Psychology - Ein Shams University

Prof. Mahmoud F. Hijazi
Department of Arabic Language and Literature - Cairo University

Editorial Board

Dr. Nassima R. A Gaith

Editor - in - Chief

Prof. Samir M. Hussein

Department of Mass Communication

Prof. Michael H. Mitias

Department of Philosophy

Dr. Abdul-Rida A. Asiri

Department of Political Sciences

Dr. Othman H. Al-Khadher

Department of Psychology

Dr. Fahed A. Al-Nasser

Department of Sociology

Dr. Faisal A. Al-Kanderi

Department of History

Dr. Layla H. Al-Maleh

Department of English Language and Literature

Dr. Fatima R. Al-Rajihi

Department of Arabic Language and Literature

Haifa'a H. AL-Meshari

Managing Editor

ANNALS OF THE
ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait University

A REFEREED ACADEMIC PERIODICAL THAT PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTIES OF ARTS AND SOCIAL SCIENCES:

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES:

- Department of Arabic Language and Literature.
- Department of English Language and Literature.
- Department of History.
- Department of Philosophy.
- Mass Communication Department.

FACULTY OF SOCIAL SCIENCES.

- Sociology, Geography, Psychology, Political Sciences.

Volume XXII, 2001

ANNALS OF THE
ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A refered scientific periodical that publishes monographs on topics relevant to the scientific concerns of the various departments in the faculties of arts and social sciences

The Qur'an Stylistic Techniques, its Goals and Characteristics

Dr. Ben Issa Bettahar
Department of Arabic Language and Literature
Sharjah University - UAE

Monograph 178
Volume XXII

1422 - 1423
2001 - 2002

The Academic Publication Council
Kuwait University
Established in 1986

Faculty of Arts & Education Bulletin (1972-1979), Jornal of the Social Sciences 1973, Kuwait Journal of Science and Engineering 1974, Journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies 1975, Authorship of Translation and Publication Committee 1976, Journal of Law 1977, Annals of the Faculty of Arts 1980, Arab Journal for the Humanities 1981, The Educational Journal 1983, Journal of Sharia s Islamic Studies 1983, Medical Principles and Practices 1988, Arab Journal of Administrative Sciences 1991.